

حُسْنُ التَّغْيِثِ
عَلَى
كُتَابِ الْبُحَايَا

تأليف

ابن حُرَيْرَةَ
زَكَرِيَّا بْنُ جَمِيلٍ فِيهِ سِتْرٌ
وَصَلَاةٌ



حُسْنُ التَّغْيِثِ
عَلَى
كِتَابِ الْبُحَيْثِ

تأليف:
ابن حُرَيْثٍ
زَكَرِيَّا بْنُ جَمْبُزٍ فِيهِ سَادُ الصَّلَاحِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين وعلى آله وأصحابه أجمعين

أما بعد:

فهذا شرح متوسط لكتاب الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب **رَحْمَةُ اللَّهِ**، المشهور باسم: «كتاب التوحيد» وهو كتاب عظيم النفع وضع الله فيه بركة ونفعا عظيما وشروحه كثيرة جدا، وقد من الله علي بتدريسه مرات عدة في بعض دور الحديث في اليمن وبعض المساجد التي كنت قائما عليها، وقد حاولت جمع أهم الفوائد والتنبيهات والتقسيمات من أهم الشروح وبعض كتب أهل العلم من باب تقريب الفائدة لطالب العلم، ولا يسلم عمل من زلل، فالله أسأل باسمه العظيم أن ينفع بهذا الشرح كما نفع بأصله، وينفع به جامعه وقارئه إنه سميع مجيب.

كتبه

أبو حذيفة زكريا بن حميد بن فهاد الصلاحي

اليمن - ساحل حضر موت - قصيعر - مسجد عمر بن الخطاب

بسم الله الرحمن الرحيم

ابتدأ المؤلف بالبسملة اقتداء بكتاب الله وبرسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وبفعل السلف الصالح، وهناك فرق بين التسمية والبسملة، فالتسمية قولك: **«بسم الله»** والبسملة قولك: **«بسم الله الرحمن الرحيم»**.

والتسمية مشروعة في كل عمل، والبسملة إنما تشرع فيما دل عليه الدليل.

مسألة (١): ما معنى البسملة؟

«بسم الله» أي أستعين بالله، والباء تفيد الاستعانة والمصاحبة لاسم الله لقصد البركة، لا كما قالت المعتزلة إنها لمجرد المصاحبة، لمعتقدهم الفاسد في أفعال العباد وأنها ليست من خلق الله.

«الله» علم على ذات الله، وهو أخص أسماء الله تعالى.

قال ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ**: هو الاسم الجامع للأسماء الحسنى والصفات العلى.

وقال بعض أهل العلم: هو الاسم الأعظم، وهو أكثر كلمة ذكرت في القرآن، فقد ذكر ألفان وسبعمائة وأربع وعشرون مرة.

مسألة (٢): ما الفرق بين الرحمن والرحيم؟

«الرحمن» من الأسماء الخاصة، وهو ذو الرحمة الواسعة. ويشق منه صفة الرحمة الذاتية.

«الرحيم» من الأسماء المشتركة، وهو ذو الرحمة الواصلة. ويشق منه صفة الرحمة الفعلية.

«الحمد» لغة: الثناء.

واصطلاحاً: ذكر محاسن المحمود مع المحبة والتعظيم، فحمد الله هو الثناء على الله محبةً

وتعظيماً، فإن خلا من المحبة فيكون مدحا.

«الله» اللام تدل على الاختصاص.

أي يختص الله بجميع المحامد فليس لأحد الحمد المطلق من جميع الوجوه إلا الله.

* والصلاة على النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** إذا كانت من الله فهي ثناء الله على نبيه في الملائكة والأعلى، ومن الملائكة والناس الدعاء.

* «آل البيت»: هم آل علي وآل جعفر وآل العباس وآل عقیل: ونسأؤه من أهل بيته كما في سورة الأحزاب، في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ [سورة الأحزاب: ٣٣]. بعد أن ذكر قبلها النداء لنساء النبي في آيات عدة، فدل على أنهم يدخلون دخولاً أولياً في آل بيته **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

كتاب التوحيد

وقول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [سورة الذاريات: ٥٦].
 وقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [سورة النحل: ٣٦]. الآية. وقوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [سورة الإسراء: ٢٣]. الآية. وقوله: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [سورة النساء: ٣٦]. الآية.
 وقوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [سورة الأنعام: ١٥١].

قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: من أراد أن ينظر إلى وصية محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي عليها خاتمة فليقرأ قوله: تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾ الآية.

وعن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كنت رديف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على حمار فقال لي: "يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله؟" فقلت: الله ورسوله أعلم. قال: "حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله ألا يعذب من لا يشرك به شيئاً" فقلت: يا رسول الله أفلا أبشر الناس؟ قال: "لا تبشرهم فيتكلوا" أخرجه في الصحيحين.

الشرح

قول المؤلف: «كتاب»: مادة كتب تدل على الجمع والضم، ويقال للورقة المكتوبة كتاب.

التوحيد في اللغة: مصدر من وحد يوحد توحيداً، فهو «موحد»، والتوحيد مصدر للفعل

وَحْدَه؛ أي جعل الشيء واحداً، فمعنى توحيد الله: أي جعل الآلهة إله واحداً وهو الله - جل وعلا-، وكل الآلهة دونه باطلة.

والتوحيد في الشرع والاصطلاح: هو إفراد الله بما يختص به من ربوبية وألوهية وأسماء وصفات.

مسألة (١): هل لفظ التوحيد مصطلح شرعي وارد في القرآن والسنة؟

الجواب: نعم فقد ورد في حديث ابن عباس في الصحيحين: «لَمَّا بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معاذاً إلى اليمن فكان مما قال له وليكن أول ما تدعوهم أن يوحّدوا الله»، وورد في صحيح مسلم عن جابر في تلبية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حجة الوداع وفيه: «فأهل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالتوحيد».

فائدة: أطلق السلف على التوحيد عبارات عدة، منها: السنة، والعقيدة، وأصول الدين، والفقه الأكبر، والإيمان، والشريعة، وقد يطلقون هذه الألفاظ على ما هو أوسع من التوحيد من العقيدة ومنهج السلف.

مسألة (٢): ما هو الفرق بين التوحيد والعقيدة؟

الجواب: العقيدة أعم من التوحيد فهي تشمل التوحيد الذي هو إخلاص العمل لله، وزيادة كالكلام على الإيمان والغيبيات، أما التوحيد فهو خاص بأقسامه الثلاثة وما يضادها من الشرك.

مسألة (٣): إلى كم ينقسم التوحيد؟

الجواب: قسمه بعض أهل العلم إلى قسمين، وبعضهم إلى ثلاثة: فالذين جعلوا التوحيد قسمين جعلوا:

١ - توحيد الربوبية، والأسماء والصفات نوعاً واحداً وسموه: «توحيد المعرفة والإثبات»؛ فالمعرفة هي الربوبية، والإثبات: هو الأسماء والصفات.

٢- وأما توحيد الألوهية فسموه: «توحيد القصد والطلب»؛ لأنه هو المقصود من خلق الخلق، وهو أهم مطلوب.

ومنهم من جعله ثلاثة أقسام «ربوبية، وألوهية، وأسماء وصفات».

مسألة (٤): لماذا أفرد المتأخرون توحيد الأسماء والصفات عن الربوبية، وجعلوه قسماً مستقلاً؟

الجواب: لأهميته ولكثرة من خالف فيه من أهل البدع لذلك جعله أهل العلم قسماً ثالثاً.

مسألة (٥): هل تقسيم التوحيد معروف عن السلف أم أنه حادث؟

الجواب: تقسيم التوحيد معروف عند السلف، وأول من استعمل هذا التقسيم وصرح به هو أبو جعفر الطحاوي المتوفى سنة ٣٢١ هجرية، ثم ابن بطة، وابن مندة، ثم ابن عبد البر رحمهم الله.

مسألة (٦): ما هو الدليل على هذا التقسيم؟

الجواب: الدليل عليه الاستقراء والتتبع لأدلة الكتاب والسنة، حيث نظر العلماء في جميع الأدلة في الكتاب والسنة التي تدل على التوحيد فوجدوها لا تخرج عن هذه الأقسام الثلاثة.

تنبيه (١): حاول بعض الصوفية والرافضة وغيرهم من أهل البدع إنكار هذا التقسيم، وقالوا إنه تقسيم مبتدع، وأن أول من جاء به شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله المتوفى سنة ٧٢٨ هجرية، وهذا من جهلهم أو كذبهم وتلبيسهم؛ لما تقدم أن أول من صرح به الإمام الطحاوي رحمه الله، أي قبل شيخ الإسلام بـ ٤٠٠ سنة.

فائدة: أجمع المسلمون على الإقرار بتوحيد الربوبية، وأقر به جمهور الأمم الماضية، ولم ينكر وجود الله عياداً بالله إلا النمرود، وفرعون، وملاحدة الشيوعية المعاصرة الذين يقولون لا إله والحياة مادة.

فائدة: توحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية، وتوحيد الألوهية متضمن توحيد

الربوبية. ومعنى ذلك أن من أقر بالربوبية وأنه لا خالق ولا رازق إلا الله يلزمه ألا يعبد إلا الله، أما من كان قد حقق توحيد الألوهية بحيث جعل عبادته كلها لله فقد صار موحدًا توحيد الربوبية لأنه ما عبد الله وحده إلا لاعتقاده أنه الخالق وحده.

* أسماء توحيد الألوهية:

- ١- توحيد الألوهية، وهو الأشهر، ٢- توحيد العبادة، ٣- توحيد أفعال العباد، ٤- التوحيد الطلبي، ٥- توحيد القصد والعمل، ٦- التوحيد الخاص.

* أسماء توحيد الربوبية:

- ١- توحيد الربوبية وهو الأشهر، ٢- توحيد الله في أفعاله، ٣- توحيد المعرفة، ٤- توحيد الإثبات، ٥- التوحيد العلمي الخبري، ٦- التوحيد العام؛ لأنه عامة الخلق مقرون به.

مسألة (٧): ما تعريف أنواع التوحيد؟

- ١- توحيد الألوهية: هو إفراد الله بالعبادة.
- ٢- توحيد الربوبية: هو إفراد الله بأفعاله من الملك، والخلق، والتدبير، وغير ذلك من أفعاله.
- ٣- توحيد الأسماء والصفات: هو إفراد الله بأسمائه وصفاته بلا تمثيل ولا تعطيل.

مسألة (٨): من هم الذين خالفوا في توحيد الألوهية من الطوائف المنتسبة للإسلام؟

الجواب: عامة الفرق والطوائف الإسلامية عندهم خلل في توحيد الألوهية وهم في ذلك ما بين مستقل ومستكثر، ويمكن القول باختصار أنه لم يبق بتوحيد الألوهية قولاً وفعلاً ومعنى إلا أهل الحق أهل السنة والجماعة السائرون على طريقة السلف؛ وما من طائفة من طوائف أهل البدع إلا وعندهم خلل في التوحيد وضعف أو عدم توحيد بالكلية إلا توحيد الربوبية كبعض فرق الرافضة والصوفية.

مسألة (٩): ما هو التوحيد عند أهل البدع؟

الجواب: عامة أهل البدع إذا ذكروا التوحيد إنما يريدون به توحيد الربوبية، ولا يتطرقون لتوحيد الألوهية، ولا يقررونه في كتبهم من حيث الجملة، وأما من حيث التفصيل فكما يلي:

أولاً: التوحيد عند المعطلة أهل الكلام «الجهمية، والمعتزلة، والأشاعرة، ومن سلك مسلكهم»: فإنهم يجعلون التوحيد ثلاثة أقسام:

١- توحيد ذات، ٢- توحيد صفات، ٣- توحيد أفعال.

وهذه الأنواع الثلاثة كلها داخلة في توحيد الربوبية، وزيادة على ذلك فإن مرادهم بتوحيد الصفات تعطيلها عن معانيها الصحيحة وتأويلها بمعانٍ باطلة.

ثانياً: التوحيد عند الصوفية: التوحيد عند عوامهم توحيد الربوبية، وأما غلاتهم فالتوحيد عندهم ثلاثة أقسام، ويعبرون عنه بالفناء:

١- الفناء عن إرادة السوى؛ أي إخلاص العمل لله، وألا يراد بالعمل سوى الله، ويسمون هذا توحيد العامة، ويرون أنه لا يليق بالأولياء وإنما هو لعامة الناس، ومع هذا فإنهم قد أفسدوا عبادة العامة بالشرك والخرافة ولا تجد صوفياً عامياً فما فوقه إلا وعنده نوع من الشرك، والله المستعان.

٢- الفناء عن مشاهدة السوى؛ بمعنى أن أحدهم لا يشاهد في الكون إلا الله، فكل شيء أمامه هو الله، ويسمونه توحيد الخاصة، وهذا فيه رائحة الحلول ونوع من الكفر، لذلك يقولون الله في كل مكان، حتى قال بعضهم: لو غاب الله عن نظري طرفة عين لما عدت نفسي مؤمناً والعياذ بالله.

٣- الفناء عن وجود السوى: فيفنى بحيث لا يحس بوجوده مع غير السوى، يريدون بالسوى الله تعالى، وهذا أعظم أنواع الكفر، ومعناه: لا يوجد عبدٌ وربٌّ ولا خالقٌ ومخلوق بل كل شيء هو الله، وهذه عقيدة الحلول والاتحاد، وأن الله قد اتحد وامتزج بكل شيء،

وهذا أعظم أنواع الكفر، لم يصل إلى هذا الكفر حتى اليهود والنصارى، ويسمون هذا النوع توحيد خاصة الخاصة، والقائلون بهذا كفار بالإجماع وهم الغلاة من الصوفية.

حتى نقل عن بعضهم قوله: ما في الجبة إلا الله: يقصد نفسه، وابن عربي رأس البلاء في هذه الفكرة فقد ألف رسالة سماها «إيمان فرعون» حيث قال ما مضمونه: لما قال فرعون: «أنا ربكم»، عرف حقيقة التوحيد فإنه فني عن وجود السوى؛ يعني عرف أنه ليس ثم موجود إلا الله، فصار هو الله لأنه حل فيه.

ثالثاً: التوحيد عند الفلاسفة والباطنية: التوحيد عندهم هو أن تعتقد أن وجود الله وجود مطلق؛ والوجود المطلق يكون في الذهن ولا حقيقة له في الخارج، وهذا كفرٌ أكبر، وقد أجمع المسلمون أن الباطنية أكفر من اليهود والنصارى حتى إن الرافضة يكفرونهم، وأما غلاة الصوفية الذين يقولون بالحلول والاتحاد، فإنهم يتفقون معهم من حيث الجملة.

رابعاً: التوحيد عند بعض أهل البدع المعاصرين «كالإخوان والسرورية ومن تأثر بهم»: يُقَرُّون بالجملة بأنواع التوحيد الثلاثة لكنهم زادوا في التوحيد قسماً رابعاً وهو توحيد الحاكمية، وجعلوه ديدناً لهم وسُلماً للخروج على ولاية الأمور المسلمين، مع أنه داخل تحت توحيد الربوبية وليس قسماً مستقلاً.

وأول من جعله مسألة الحاكمية شعاراً له هم الخوارج الأوائل الذين خرجوا على علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تحت شعار «لا حكم إلا لله» وهي كلمة حق أريد بها باطل.

تنبيه (٢): جماعة التبليغ على طريقة الصوفية من حيث الجملة وإن كان بعض أفرادهم أحسن حالاً.

قوله: وقول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾،

كل أمر بالعبادة في القرآن هو أمر بالتوحيد، وأول أمر في القرآن حسب ترتيب السور هو الأمر بالتوحيد، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ أي وحدوه، وأول نهي

في القرآن هو النهي عن الشرك، قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾.

العبادة لغةً: التذلل والخضوع.

واصطلاحاً: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة.

العبادة تنقسم إلى قسمين:

١ - عبادة كونية: ويقال لها أيضاً عبادة عامة، ويقال لها عبادة ربوبية، ويدخل تحتها كل المخلوقين المكلفين طوعاً وكرهاً، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾.

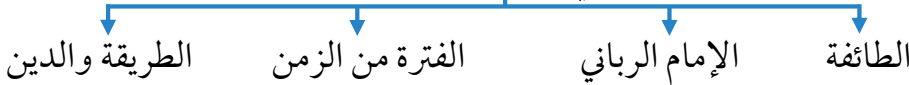
٢ - عبادة شرعية: وهي عبادة الطاعة، وهي خاصة بالمؤمنين.

وهي على ثلاثة أقسام:

١ - قلبية: كمحبة الله سبحانه وتعالى ٢ - قولية: كالذكر ٣ - فعلية: كالصلاة

قوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾

الأمة في القرآن لها معانٍ:



الاجتناب: هو ترك الشيء، وترك الأسباب الموصلة إليه.

الطاغوت لغةً: مأخوذ من الطغيان وهو زيادة الحد.

واصطلاحاً: قال ابن القيم **رَحِمَهُ اللَّهُ**: هو ما تجاوز به العبد حده من معبودٍ أو متبوعٍ أو مطاعٍ.

مسألة: ما الفرق بين الرسول والنبي؟

الرسول: هو من أرسل بشرع جديد إلى قوم مشركين.

النبي: هو من أرسل إلى قوم موحدين ليحدد لهم دينهم.

وللعلماء أقوال في الفرق بينهما وهذا أحسنها والله أعلم، وهو اختيار شيخ الإسلام رحمه الله.

ومرتبة الرسالة أعلى من مرتبة النبوة خلافا لبعض الصوفية فإنهم يجعلون مرتبة الولاية أعلى مرتبة وبعدها المرتبة النبوة ثم الرسالة، على عكس الصواب تماما، وكل ذلك للوصول إلى القول بأن الولي أفضل من النبي، وعلى هذا فيقدم قوله: على قول النبي وهذا كفر عيادا بالله.

قوله: وقول الله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ...﴾.

ذكر المؤلف الآيات استطراد والمقصود إنما هو قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾.

قوله: وقوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾.

﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ﴾، إثبات، والنفي في قوله: ﴿وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾، وهذا ما تضمنته

كلمة التوحيد

قوله: وقوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾.

الشاهد من الآيات هو أن أول وصية هي الأمر بالتوحيد، والنهي عن الشرك وما بعدها من الوصايا تابعة للتوحيد فإن صلح التوحيد صلحت وإن فسد التوحيد فسدت، والتوحيد أصل الشروط لقبول الأعمال.

قوله: قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «من أراد أن ينتظر... إلخ».

أراد ابن مسعود أن هذه الوصايا ثابتة ولم تنسخ ولم تتغير ولم تبدل، ولم يعرف أن

النبى ﷺ كتب وصية، إنما أوصى بكتاب الله كما فى الصحيح عن على رضى الله عنه.

قوله: وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال: «كنت رديف النبى ﷺ على حمار... الحديث».

قوله: «أتدري» استفهام تشويقي، وهذا من أساليب رسول الله ﷺ فى التعليم.

قوله: «حق العباد على الله» وهذا أوجه الله تعالى على نفسه، فلا يجوز للمسلم أن يوجب على الله ما لم يوجهه على نفسه، وهذا من التفضل والرحمة لا من باب المقابلة.



باب: فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب

وقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [سورة الأنعام: ٨٢].

عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل». أخرجاه.

ولهما في حديث عتبان: «فإن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله».

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «قال موسى: يا رب، علمني شيئاً أذكرك وأدعوك به. قال: يا موسى: قل لا إله إلا الله. قال: يا رب كل عبادك يقولون هذا. قال: يا موسى، لو أن السماوات السبع وعامرهن غيري، والأرضين السبع في كفة، ولا إله إلا الله في كفة، مالت بهن لا إله إلا الله». رواه ابن حبان، والحاكم وصححه.

وللترمذي وحسنه عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «قال الله تعالى: يا ابن آدم؛ لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة».

الشرح

«ما» موصولة فإن كانت موصول اسمي فالمعنى: فضل التوحيد والذي يكفر من الذنوب.

وإن كانت موصول حرفي فالمعنى: فضل التوحيد وتكفيره الذنوب.

قوله: وقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا...﴾.

فيها أن الإنسان لا يحصل له الأمن إلا بالتوحيد.

قوله: ﴿يَلْبِسُوا﴾ أي يخلطوا. ﴿بِظُلْمٍ﴾ أي بشرك.

أنواع الظلم:

١ - ظلم العبد لنفسه بالمعاصي.

٢ - ظلم بين العبد وربّه بالشرك.

٣ - ظلم الإنسان للآخرين بأخذ حقوقهم.

قوله: ﴿لَهُمُ الْأَمْنُ﴾ أي في الدنيا والآخرة.

قوله: ﴿وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ أي في الدنيا بالاستقامة والسداد، وفي الآخرة إلى طريق الجنة.

وعن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من شهد ألا إله إلا الله...» الحديث.

شهد أبلغ من أعتقد لأنه بلغ عنده من اليقين وكأنه يرى ذلك ويشاهده.

فائدة (١): من أسماء لا إله إلا الله:

١ - كلمة التوحيد ٢ - كلمة الإخلاص ٣ - كلمة التقوى ٤ - كلمة الصدق

٥ - الكلمة الحسنی ٦ - الكلمة الطيبة ٧ - الكلمة الباقية ٨ - كلمة الله العليا.

٩ - العروة الوثقى ١٠ - القول الثابت.

فائدة (٢): حديث عبادة فيه رد على ثلاث طوائف:

١ - على المشركين في قوله: «وأن محمد عبده ورسوله» لأنهم كذبوا به.

وفي قوله: «الجنة حق والنار حق» لأنهم أنكروا البعث والنشور.

٢- رد على النصارى في قوله: «وأن عيسى عبد الله ورسوله» لأنهم جعلوه ابناً لله.

٣- رد على اليهود في قوله: «وأن عيسى عبد الله ورسوله» لأنهم قالوا إنه ابن زنا.

قوله: «روح منه» من هنا للابتداء أي هو من الأرواح التي خلقها الله عنده وهذا من باب إضافة المخلوق إلى الخالق إضافة تشریف، وليست للتبعيض خلافاً للنصارى والجنة والنار موجودتان لا تفنيان خلافاً للجهمية.

دخول الجنة على قسمين

دخول ثانوي

يحصل له عذاب
بقدر ذنوبه ثم يكون
مصييره إلى الجنة برحمة
الله وشفاعة الشافعين.

دخول أولي

بدون حساب
ولا عذاب.
بحساب بلا عذاب.

وقوله: «على ما كان من العمل» فيه قولان

يدخل الجنة وتكون

منزلته فيها على حسب عمله.

يدخل الجنة ولو كان عنده ذنوب

ويكون الدخول ابتدائي أو ثانوي.

قوله: ولهما في حديث عتبان: «فإن الله حرم على النار من قال...» الحديث

تحريم النار على قسمين

تحريم خلود

تحريم دخول

قوله: وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «قال موسى يا رب...» الحديث. الحديث ضعيف، ولمعناه شواهد.

قوله: «عامرهن» أي: من فيها من عمارها وهم الملائكة، وقيل: عامرهن، أي خالقهن. وفيه: أن لا إله إلا الله أثقل من السماوات والأرض.

قوله: وللترمذي وحسنه عن أنس قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «قال الله يا عبادي...» الحديث.

قوله: «قرب الأرض» أي: ما يقارب ملء الأرض.

وفيه أن العبد إذا حصل منه الشرك ثم تاب واستغفر دخل في هذا الحديث لأن التوبة تجب ما قبلها.

ولقوله تعالى في التائبين: ﴿فَأُولَٰئِكَ يَبْدَلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۖ﴾.



باب: من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب

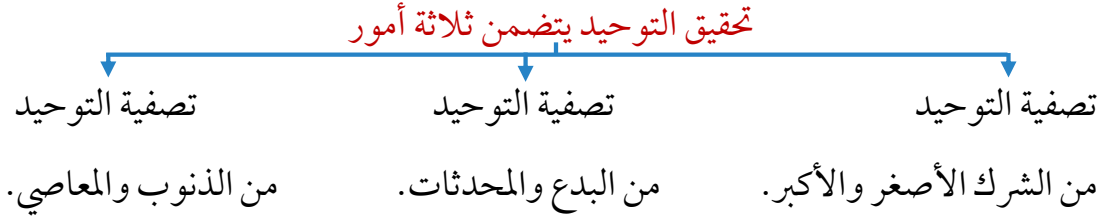
وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة النحل: ١٢٠]. وقال: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ [سورة المؤمنون: ٥٩].

عن حصين بن عبد الرحمن قال: كنت عند سعيد بن جبير فقال: «أيكم رأى الكوكب الذي انقضى البارحة؟ فقلت: أنا، ثم قلت: أما إني لم أكن في صلاة، ولكنني لدغت، قال: فما صنعت؟ قلت: ارتقيت قال: فما حملك على ذلك؟ قلت: حديث حدثناه الشعبي، قال وما حدثكم؟ قلت: حدثنا عن بريدة بن الحصيب أنه قال: لا رقية إلا من عين أو حمة. قال: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع. ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: عرضت على الأمم، فرأيت النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد، إذ رفع لي سواد عظيم، فظننت أنهم أمتي، فقيل: لي: هذا موسى وقومه، فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل: لي: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، ثم نهض فدخل منزله. فخاض الناس في أولئك، فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ. وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئاً، وذكروا أشياء، فخرج عليهم رسول الله ﷺ فأخبروه، فقال: هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون» فقام عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. قال: أنت منهم ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. فقال: سبقك بها عكاشة».

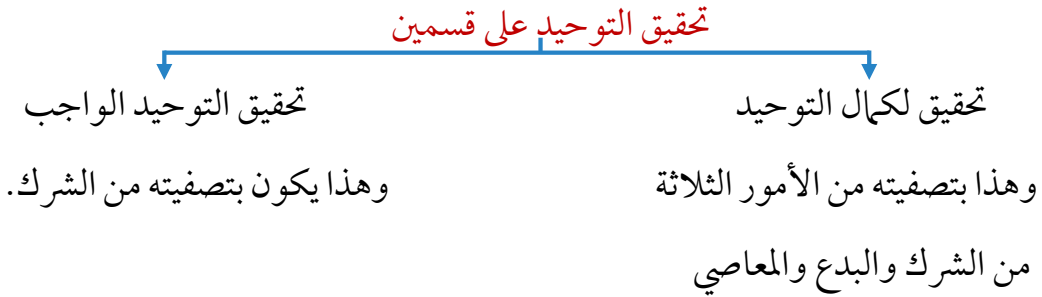
الشرح

هذا الباب يعتبر تكملة للباب السابق لكنه أخص.

فائدة (١): ليس كل موحد يدخل الجنة بغير حساب.



تنبيه: المراد بهذه الأمور من لقي الله وليست عنده فيدخل في هذا من عملها ثم تاب منها فإنه يعتبر محققاً للتوحيد.



فائدة (٢): كمال التوحيد يتفاوت كما أن التوحيد الواجب يتفاوت.

وقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً ... ﴾ الآية.

﴿ أُمَّةً ﴾ أي إمام والإمام في الدين من اجتمعت فيه خصال الخير كلها.

﴿ قَانِتًا ﴾ من القنوت وهو الدوام على الطاعة.

﴿ لِّلَّهِ ﴾ اللام للاختصاص وهذا أساس التوحيد وهو الإخلاص.

﴿ حَنِيفًا ﴾ لغة مأخوذ من الحنف وهو الميل.

واصطلاحاً: الميل عن الشرك وأهله والاستقامة على التوحيد.

فائدة (٣): الحنيف من الألفاظ المتضادة التي تفسر بالشيء وضده بحسب القرائن.

وقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾.

﴿لَا يُشْرِكُونَ﴾ نفي الشرك هنا المراد به الأكبر والأصغر.

قوله: وعن حصين بن عبد الرحمن قال: «كنت عند سعيد بن جبير...» الحديث.

«لدغت» أي لدغة حيوان ذا سم. «الحمة» هي السم.

قوله: «لا رقية إلا من عين أو حمة» ليس معناه عدم جواز الرقية إلا في هذه الثلاثة الأمور، وإنما المراد أن الرقية أنفع وأحسن ما تكون في هذه الأمور، وإلا فقد دلت الأدلة على جواز الرقى الشرعية في غير هذه الثلاثة، والله أعلم.

قوله: «عرضت عليّ الأمم» إما أن يكون العرض في المنام أو في ليلة المعراج والأول أقرب.

«الكي» هو وسم الجسد بحديد محمي بالنار.

«الطيرة» هي التشاؤم.

مسألة: الرقية والكي من الأسباب فلماذا تناقض التوكل؟

الجواب: لأن الرقية والكي كانت من أنفع أدوية العرب فكانوا يتعلقون بها أكثر من غيرها فلذلك كرهها الشرع، والله أعلم.



باب: الخوف من الشرك

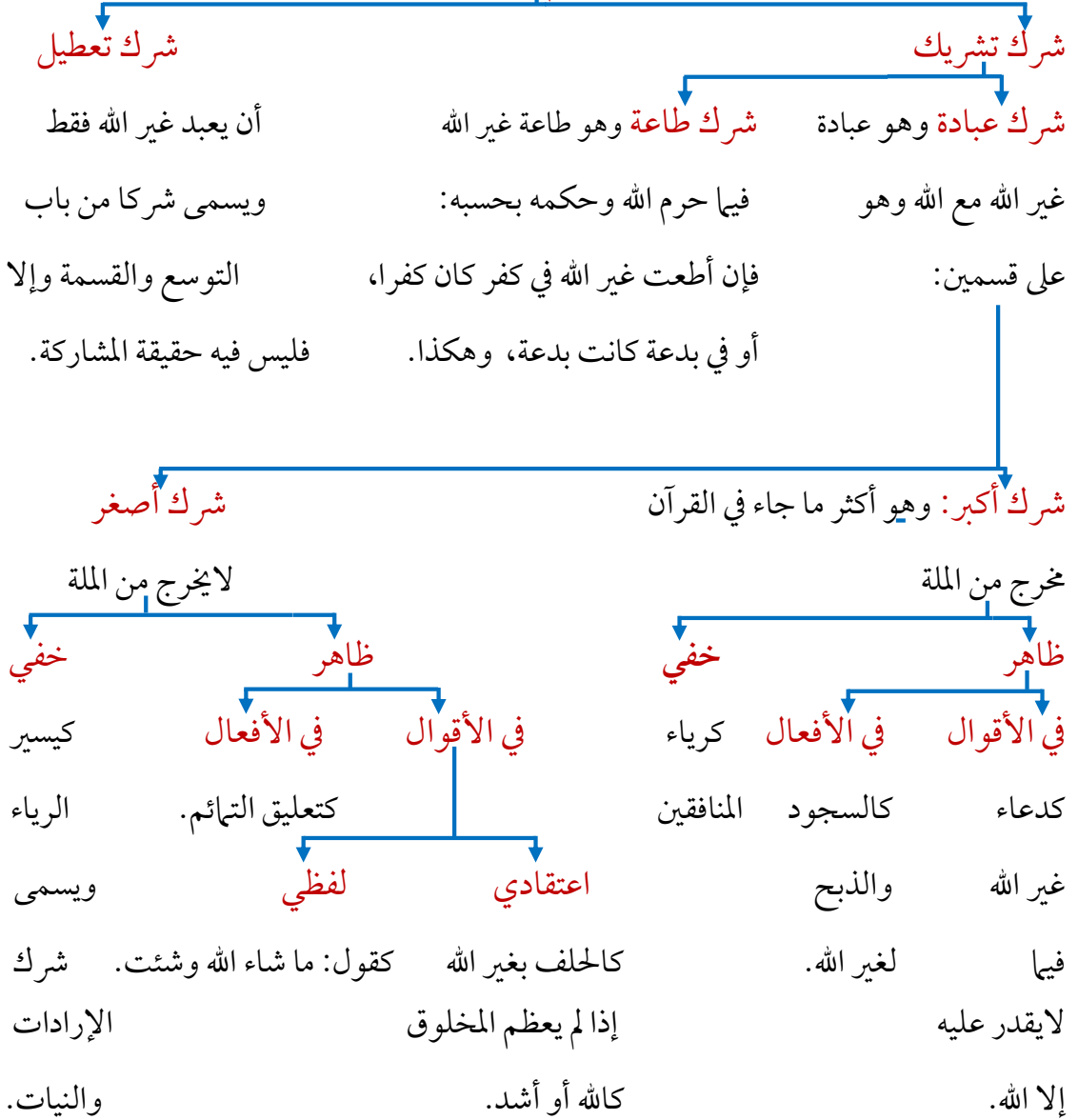
وقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء: ٤٨].

وقال الخليل عليه السلام: «واجنبني وبني أن نعبد الأصنام» وفي حديث: «أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر»، فسئل عنه فقال: «الرياء» وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من مات وهو يدعو من دون الله نداً دخل النار» رواه البخاري. ولمسلم عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار».

الشـرح

مناسبة هذا الباب أن من حقق التوحيد كان خوفه من الشرك أكثر من غيره لعلمه بخطورة الشرك وتأثيره على التوحيد.

أقسام الشرك



* **الشرك الأكبر:** هو تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الله.

* **الشرك الأصغر:** هو ما كان وسيلة للشرك الأكبر.

قوله: وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ...﴾ الآية.

يدخل فيها الشرك الأكبر والأصغر، وهذا ترجيح شيخ الإسلام.

قوله: ﴿مَا دُونَ ذَلِكَ﴾ أي من الكبائر والصغائر، وهذا يكون تحت المشيئة إن شاء الله غفر له بفضلله وإن شاء عذبه بعدله.

وفي هذه الآية رد على الخوارج والمعتزلة الذين يكفرون صاحب الكبيرة، لأن الكبائر دون الشرك والآية نص أن ما كان دون الشرك فهو تحت المشيئة، ولو كان كافرا كما تقول الخوارج والمعتزلة لحكم عليه بعدم المغفرة، فتأمل!

وفي قوله: ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ رد على المرجئة، وذلك لأنهم يشهدون بالمغفرة والجنة لكل مسلم مهما عصى وأذنب، والآية تنص على أن منهم من يعذب.

فائدة: هذه الآية العظيمة من أحكم الآيات في كتاب الله التي ترد إليها كثير من الآيات المشتبهة على بعض الناس،

قوله: وقال الخليل عليه السلام «واجنبي وبني أن نعبد الأصنام».

«واجنبي» أبلغ من وابتعد عني. لأنها تقتضي البعد عن الشيء وعن أسبابه.

الخلة: أعلى مراتب المحبة.

الأصنام: ما كان على صورة ذي روح.

الأوثان: ما كن على صورة غير ذي روح، وقيل: هما بمعنى واحد.

وفي الحديث: «أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر...» الحديث.

الرياء: مأخوذ من الرؤية لأن المرائي يعمل العمل ويحسنه من أجل أن يراه الناس.

أقسام الرياء

رياء أصغر

ويكون في فروع العبادة
«وهو المقصود هنا».

رياء أكبر

مخرج من الملة وهو رياء في أصل الدين
مثل رياء المنافقين.

مسألة: هل الرياء يفسد العمل؟

الجواب: إذا كانت العبادة متصلة فالرياء يفسدها كالصلاة، وإذا كانت منفصلة عن العبادة فيفسد العمل الذي دخل عليه الرياء فقط، كالصدقة.

قوله: وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسل الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من مات...» الحديث، هذا نص على أن من لم يتب من الشرك فهو من أهل النار.
«الند»: هو الإله والمعبود من دون الله.

دخول النار على قسمين: «كما تقدم».

قوله: ولمسلم عند جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «...» الحديث.
«شيئاً» نكره في سياق النفي تفيد العموم فتشمل الشرك الأكبر والأصغر.

*** من أضرار الشرك:**

١- أن الله لا يغفر لصاحبه إذا مات ولم يتب.

٢- من مات على الشرك الأكبر خلد في النار.

٣- الشرك يحبط جميع الأعمال الصالحة، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الآية.

٤- من مات على الشرك الأكبر تحرم عليه الجنة.

٥- يورث الخوف في الدنيا والآخرة.



باب: الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [سورة يوسف: ١٠٨]. الآية.

عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له: «إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وفي رواية: إلى أن يوحدوا الله فإن هم أطاعوك لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك: فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب» أخرجاه.

ولهما عن سهل بن سعد رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، يفتح الله على يديه. فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها. فلما أصبحوا غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها. فقال: «أين علي بن أبي طالب؟» فقيل: هو يشتكي عينيه، فأرسلوا إليه، فأتى به فبصق في عينيه، ودعا له، فبرأ كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية فقال: «انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً، خير لك من حمر النعم». يدوكون: يخوضون.

الشرح

من حسن ترتيب المؤلف أن بدأ بذكر الأبواب التي فيها إصلاح الإنسان نفسه ثم ذكر الأبواب التي فيها سعيه في إصلاح غيره.

قوله: وقول الله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ أي طريقي وهي الدعوة إلى الله على بصيرة.

﴿أَدْعُو إِلَى اللَّهِ﴾ فيها الإشارة إلى الإخلاص بأن تكون الدعوة لله وحده.

﴿عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ أي على علم وفيه رد على من يدعو بدون علم مثل جماعة التبليغ وبعض الإخوان المسلمين والمتصدرين للفتوى في الشبكات وليسوا من أهل الفتوى.

﴿أَنَا﴾ الضمير يعود على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله: عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له: «إنك تأتي قوم من أهل الكتاب...» الحديث.

فيه أن أول ما يدعو إليه الإنسان التوحيد وبدأ بالصلاة لأنها أهم أركان الإسلام بعد الشهادتين.

«الصدقة» المراد بها هنا الزكاة الواجبة كما في قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً...﴾ أي زكاة.

كرائم أموالهم لها تفسيران

ما يكرمونك به من الهدايا لأن هدايا العمال غلول.	الأموال النفيسة وهذا هو الصحيح والمشهور.
---	--

قوله: ولهما عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال يوم خيبر... الحديث.

«يفتح الله على يديه» هذه معجزة لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث وقع الأمر كما أخبر، وفيه كرامة لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حيث حصل هذا الفتح على يديه ومثلها تفله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عين

علي وشفأؤها في الحال فهي معجزة وكرامة، والله أعلم.
والشاهد من الحديث قوله: «ثم ادعهم إلى الإسلام» أي التوحيد.



باب: تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله

وقول الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ [سورة الإسراء: ٥٧]. الآية.

وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٦٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٦٧﴾﴾ [سورة الزخرف: ٢٦-٢٧]. الآية.

وقوله: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [سورة التوبة: ٣١]. الآية.

وقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [سورة البقرة: ١٦٥]. الآية.

وفي «الصحیح» عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «من قال: لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله، حرم ماله ودمه، وحسابه على الله عز وجل». وشرح هذه الترجمة: ما بعدها من الأبواب.

فيه أكبر المسائل وأهمها: وهي تفسير التوحيد، وتفسير الشهادة، وبينها بأمور واضحة.

الشرح

التوحيد أعم من لا إله إلا الله وهذا من باب إضافة الخاص إلى العام لمزيد اهتمام به.

قوله: وقول الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ...﴾.

معنى الآية: أن رجالاً كانوا يعبدون الجن فأسلم الجن، وصاروا يطلبون من الله الوسيلة والقربة والإنس مستمرون على شركهم في عبادة أولئك الجن.

والشاهد أن العبادة لا تكون إلا لله فلا يجوز صرفها لأحد وإن كان نبياً أو ملكاً أو ولياً أو صالحاً.

قوله: وقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ...﴾ الآيات.

﴿بَرَاءً﴾ مأخوذ من برأ ومعناه [قطع] بمعنى المقاطعة والترك للشرك وأهله.

﴿فَطَرَنِي﴾ خلقني على غير مثال سابق.

فائدة: قال العثيمين رَحِمَهُ اللهُ: لماذا قال إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ إلا الذي فطرني ولم يقل: إلا الله؟

قال: فيه فائدتان:

الفائدة الأولى: الإشارة إلى سبب إفراد الله بالعبادة كما أنه متفرد بالخلق يكون منفرداً بالعبادة ويجب أن يُفرد بها.

الفائدة الثانية: الإشارة إلى بطلان عبادة الأصنام لأنها لم تفرهم حتى يعبدوها.

قوله: وقوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا...﴾ الآية.

الأحبار: جمع حبر وهم علماء اليهود.

الرهبان: جمع راهب وهم عباد النصارى.

ومعناه أن طاعة الأحبار والرهبان في تحريم الحلال وتحليل الحرام إذا اعتقد ذلك فقد اتخذهم أرباباً من دون الله، وصار كمن عبدهم.

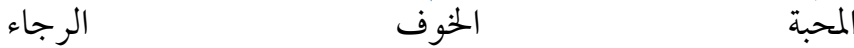
قوله: وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا...﴾ الآية.

المراد بالناس هنا: المشركون وهذا شرك في عمل قلبي وهو المحبة فمن أحب غير الله كحب الله أو أشد فقد اتخذ نداً لله.

الآية فيها تفسيران



أركان العبادة ثلاثة



قال بعض السلف: المحبة للعبادة كالرأس للطائر.

وقال شيخ الإسلام **رَحْمَةُ اللَّهِ**: «المحبة رأس العبادة لأنها مطلوبة لذاتها وهي الباقية في الدنيا والآخرة».

وذلك أن المؤمن إذا دخل الجنة أمن مما يخاف ونال ما يرجو فلا يبقى عنده من هذه العبادات إلا المحبة ولا تزال في زيادة لما يرى من إكرام الله له، والله أعلم.

قوله: وفي الصحيح عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: «من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله... الحديث».

لا يكون المسلم مسلماً إلا بالنفي والإثبات «نفي المعبودات الباطلة، وإثبات العبودية لله وحده».

قوله: «ما يعبد» ما اسم موصول يدل على العموم، فمن قال لا إله إلا الله حَرَّمَ ماله ودمه فإن عمل بعد ما ينقضها فهو حلال الدم والمال، «بالشروط والموانع».



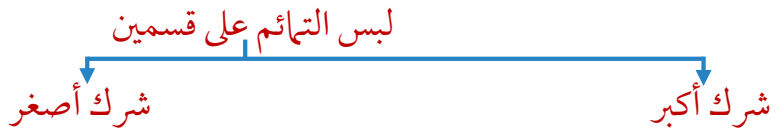
باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ﴾ [سورة الزمر: ٣٨]. الآية.

عن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأى رجلاً في يده حلقة من صفر، فقال: ما هذه؟ قال: من الواهنة. فقال: «انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهناً، فإنك لو مت وهي عليك، ما أفلحت أبداً» رواه أحمد بسند لا بأس به. وله عن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً: «من تعلق تميمة فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له» وفي رواية: «من تعلق تميمة فقد أشرك». ولابن أبي حاتم عن حذيفة أنه رأى رجلاً في يده خيط من الحمى فقطعه، وتلا قوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [سورة يوسف: ١٠٦].

الشـرح

قوله: «من الشرك»: إما الأصغر أو الأكبر بحسب اعتقاد فاعل ذلك، فإن لبس الحلقة ونحوها على قسمين:



إن اعتقدها سبباً والضر والنفع إنما هو من الله وكونه شركاً أصغر لأنه جعلها سبباً وهو سبب غير مأذون به شرعاً.	إن اعتقد أنها تضر وتنفع بنفسها.
---	--

قوله: «الحلقة» سواء كانت من حديد أو نحوه من الأشياء الصلبة أو اللينة.

قوله: «رفع البلاء أو دفعه» الرفع يكون بعد نزول البلاء، والدفع قبل نزوله.

قوله: قوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ...﴾.

يشمل دعاء العبادة ودعاء المسألة وسيأتي الفرق بينهما بعد أبواب.

قوله: «عن عمران بن حصين أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأى رجلاً في يده حلقة من صفر، فقال: ما هذا؟ قال: من الواهنة، قال: أنزعها فإنها لا تزيدك إلا وهناً، فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبداً». الحديث رواه أحمد «٤/ ٤٤٥» وسنده ضعيف، وهو في الضعيفة للألباني «١٢٩».

قوله: «من صُفر» بضم الصاد وسكون الفاء وهو النحاس.

قوله: «من الواهنة» في النهاية لابن الأثير: الواهنة عرق يأخذ في المنكب.

وقال غيره في العضد واليد.

قوله: «وهناً» أي ضعفاً في بدنك ودينك.

قوله: «ما أفلحت أبداً» يحتمل نفى الفلاح كلياً إن اعتقد أنها تؤثر بنفسها لأن ذلك شرك أكبر، ويحتمل النفي لكمال الفلاح إن كان شركاً أصغر، والله أعلم. والحديث وإن كان ضعيفاً إلا أن معناه من حيث الجملة صحيحاً.

قوله: «وله عن عقبة مرفوعاً: «من تعلق تيممة فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له». رواه أحمد «٤/ ١٥٤» وسنده ضعيف وهو في الضعيفة «١٢٦٦» ومعناه صحيح.

قوله: «لا أتم الله له» أي لا يتم الله له مراد من تعليقها.

قوله: «ودعة» الودع ما يخرج من البحر من الأصداف.

قوله: «فلا ودع الله له» أي لا جعله الله في دعة وهي الراحة والسكون.

قوله: «وفي رواية: «من تعلق تيممة فقد أشرك».

الرواية عند أحمد وسندها صحيح، وقوله: «فقد أشرك» إما شركاً أكبر أو شركاً أصغر على حسب التفصيل المتقدم أول الباب.

قوله: «ولابن أبي حاتم عن حذيفة أنه رأى رجلاً في يده خيط من الحمى فقطعه وتلا قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾».

أثر حذيفة فيه ضعف يسير وله شاهد عند ابن أبي شيبة بدون ذكر الآية وهو حسن بدون ذكر الآية، ومعنى الآية: «وما يؤمن أكثرهم بربوبية الله إلا وهم مشركون بألوهيته» والله أعلم.



باب ما جاء في الرقى والتائم

في «الصحيح» عن أبي بشير الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أنه كان مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بعض أسفاره، فأرسل رسولا ألا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت».

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إن الرقى والتائم والتولة شرك» رواه أحمد وأبو داود. وعن عبد الله بن عكيم مرفوعاً: «من تعلق شيئاً وكل إليه». رواه أحمد والترمذي.

«التائم»: شيء يعلق على الأولاد من العين، لكن إذا كان المعلق من القرآن، فرخص فيه بعض السلف، وبعضهم لم يرخص فيه، ويجعله من المنهي عنه، منهم ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

«والرقى»: هي التي تسمى العزائم، وخص منه الدليل ما خلا من الشرك، فقد رخص فيه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من العين والحنة.

«والتولة»: شيء يصنعونه يزعمون أنه يجب المرأة إلى زوجها، والرجل إلى امرأته.

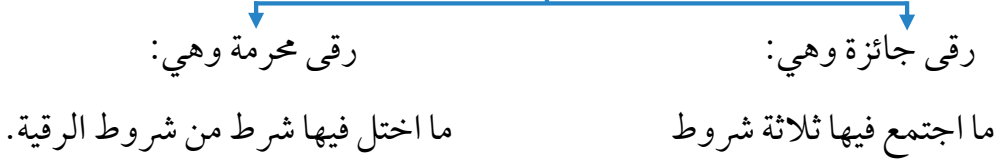
وروى أحمد عن روفيع قال: قال لي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يا روفيع! لعل الحياة تطول بك، فأخبر الناس أن من عقد لحيته، أو تقلد وترّاً، أو استنجى برجيع دابة أو عظم، فإن محمداً بريء منه».

وعن سعيد بن جبیر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «من قطع تيمة من إنسان كان كعدل رقبة» رواه وكيع. وله عن إبراهيم قال: كانوا يكرهون التائم كلها، من القرآن وغير القرآن.

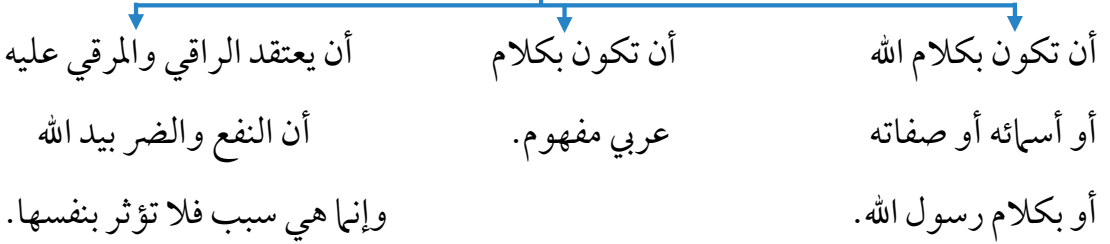
الشرح

الرقى: جمع رقية وهي ما يقرأ على المريض.

أقسام الرقى



شروط الرقية



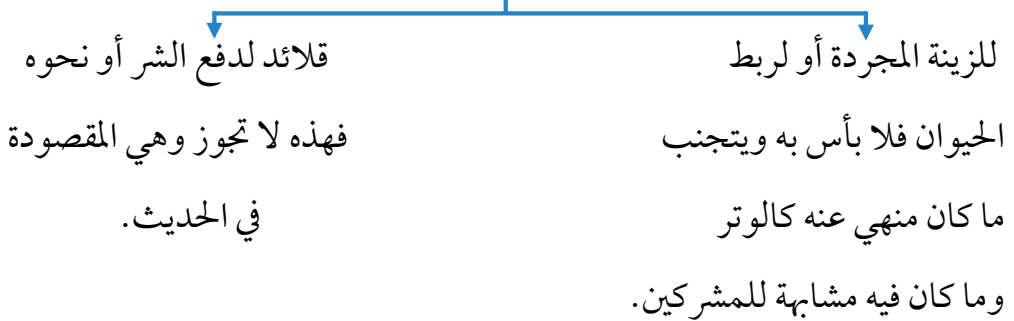
والتائم: جمع تيممة وهي ما يعلق على بعض أجزاء الجسد لدفع ضرر أو رفعه أو جلب نفع أو بقاءه. وتعليق التائم بأنواعها محرم، فإذا اعتقد أنها تنفع وتضر بنفسها فهذا شرك أكبر، وإن جعلها سبباً فهو شرك أصغر، لأن الشرع لم يجعلها سبباً.

قوله: وفي الصحيح عن أبي بشير الأنصاري أنه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره... الحديث.

الوتر: نوع من الجلد يشد به القوس فإذا صار لا يصلح للقوس يجعل قلادة.

وخص الوتر لأنه كان أكثر استعمالهم لها على البعير.

تعليق القلائد نوعان



قوله: وعن ابن مسعود قال سمعت رسول الله يقول ... الحديث.

التولة: نوع من أنواع السحر، ويسمى بسحر العطف والمحبة.

وهو أشد هذه الأمور المتقدمة؛ لأنه سحر والسحر كفرٌ.

إذا كان المعلق من القرآن لا يجوز، لأسباب:

عموم النهي	سد الذرائع	ولأنه لم يثبت	لما يؤدي إليه
عن تعليق التائم.	الموصلة إلى الشرك.	عن رسول الله ولا	من امتهان للقرآن
		عن أحد من أصحابه.	لا سيما إن علق
			على الأطفال.

وجاء التحريم عن ابن مسعود وغيره من التابعين وهو قول الجمهور، ورخص فيه بعض التابعين، ولم يصح عن أحد من الصحابة إباحة ذلك.

قوله: وعن عبد الله بن عكيم مرفوعاً: «من تعلق شيئاً وكل إليه» رواه أحمد والترمذي. إسناده ضعيف ومعناه صحيح.

قوله: وروى الإمام أحمد عن رويفع قال: قال رسول الله ﷺ «يا رويفع لعل الحياة ستطول بك فأخبر الناس...».

فيه معجزة للنبي ﷺ فقد طالت الحياة برويفع رضي الله عنه فإنه عاش بعد موت رسول الله اثنتان وخمسون سنة حيث توفي سنة «٦٣هـ».

عقد اللحية كانت العرب تعقدها لسبيين:

لرد العين للكبر والخيلاء

يعقدها على هيئة تجعل

وهذا محرم لعموم تحريم

صورته قبيحة فترد العين

الكبر ووسائله.

وهذا يدخل في الشرك الأصغر

لجعل ما ليس سبباً سبباً.

باب من تبرك بشجرٍ أو حجرٍ أو نحوهما

وقول الله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّتَ وَالْعُزَّىٰ ﴾ [سورة النجم: ١٩]. الآيات.

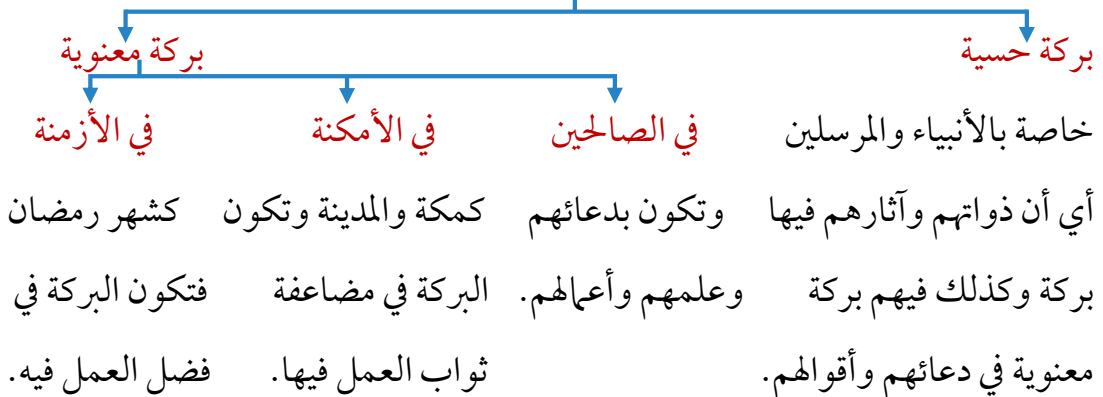
عن أبي واقد الليثي، قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها: ذات أنواط، فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله أجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال رسول الله ﷺ الله أكبر! إنها السنن، قلتم - والذي نفسي بيده - كما قالت بنو إسرائيل لموسى: «اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون» «لتركين سنن من كان قبلكم». رواه الترمذي وصححه.

الشـرح

التبرك مشتق من شيئين إما البروك بروك الإبل، وإما من البركة وهي التي يجتمع فيها الماء الكثير.

اصطلاحاً: هو طلب البركة، والبركة هي الخير الكثير الدائم.

البركة على قسمين:



التبرك على قسمين:

جائز

وهو التبرك بالذي دلت عليه الأدلة سواء بركة حسية أو معنوية.

محرم

وهو التبرك بذوات الأشخاص من غير الأنبياء والرسل.

شرك أكبر

وهو أن يعتقد أن التبرك بهذه الأشياء كونها تنفع وتضر بنفسها.

شرك أصغر

كالتبرك بشيء لم يدل عليه دليل على أنه سبب لحصول البركة كالتبرك بلباس الكعبة.

قوله: وقول الله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ اللَّتَّ وَالْعُزَّىٰ ۖ وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةِ الْأُخْرَىٰ ۖ ﴾ [سورة النجم: ١٩-٢٠].

هذا الاستفهام إنكاري ينكر الله به على المشركين اعتقادهم في هذه الأصنام المذكورة.

اللات: بتخفيف التاء قراءة الجمهور رجل كان يلت لهم السويق.

السويق: طحين الشعير المقلي، وقيل: هو حجر.

والظاهر أنه لمجموع الأمرين فصوروا على الصخرة التي كان يلت عليها السويق صورة ذلك الرجل فعبدوه من دون الله.

مناة: حجر.

العزى: شجرة.

قوله: وعن أبي واقد الليثي قال خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين... الحديث.

جمع الكفار عند هذه السدرة ثلاثة أعمال من الشرك:

١- الاعتكاف ٢- التبرك بها ٣- اعتقاد الضر والنفع

السنن بضم السين: الطُّرق، وبالفتح: الطريق.

مسألة: ما الفرق بين قول بني إسرائيل وبين قول من قال من الصحابة؟

الجواب: أولاً: الذين قالوا هذا هم حدثاء عهد بالإسلام وليس جميع الصحابة ثم إن بني إسرائيل قالوا وفعلوا وهؤلاء قالوا ولم يفعلوا.

ثانياً: شرك هؤلاء شرك أصغر لأن النبي ﷺ لم يأمرهم بتجديد إسلامهم، وشرك بني إسرائيل أكبر حيث طلبوا إلهاً غير الله.

ثالثاً: بنو إسرائيل قد فعلوا ذلك بعد النهي حيث عبدوا العجل، أما هؤلاء الصحابة فلم يفعلوا.



باب ما جاء في الذبح لغير الله

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ...﴾ [سورة الأنعام: ١٦٢-١٦٣]. الآية، وقوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنحِرْ ﴿١٦٣﴾﴾ [سورة الكوثر: ٢].

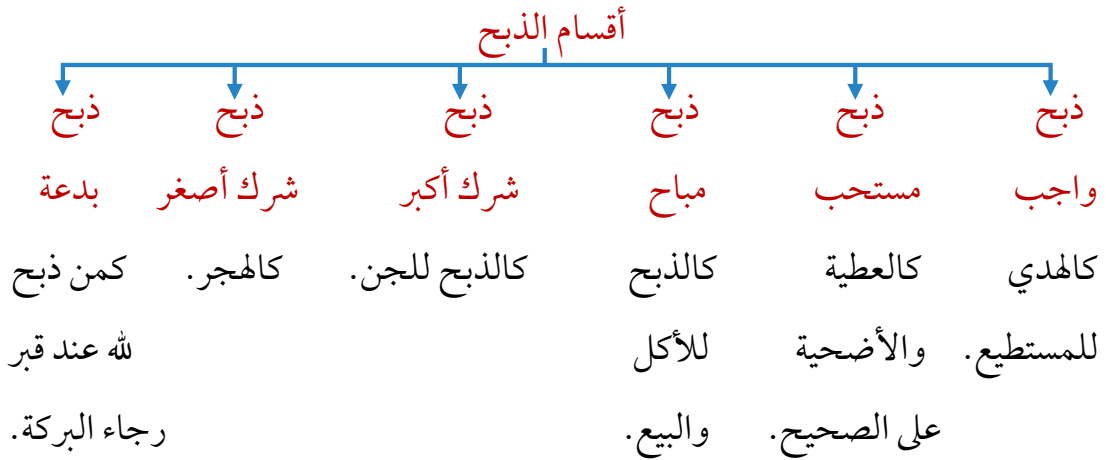
عن علي رضي الله عنه قال: حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع كلمات: «لعن الله من ذبح لغير الله، لعن الله من لعن والديه. لعن الله من آوى محدثاً، لعن الله من غير منار الأرض» رواه مسلم.

وعن طارق بن شهاب، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «دخل الجنة رجل في ذباب، ودخل النار رجل في ذباب» قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟! قال: «مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوز له أحد حتى يقرب له شيئاً، فقالوا لأحدهما قرب قال: ليس عندي شيء أقرب قالوا له: قرب ولو ذباباً، فقرب ذباباً، فخلوا سبيله، فدخل النار، وقالوا للآخر: قرب، فقال: ما كنت لأقرب لأحد شيئاً دون الله عز وجل، ف ضربوا عنقه فدخل الجنة» رواه أحمد.

الشيء

الذبح لغةً: القطع.

وإصطلاحاً: قطع الودجين والحلقوم بألة حادة غير السن والظفر.



فالثلاثة الأول ذبح جائز ومشروع والثلاثة الآخر ذبح غير مشروع.

قوله: وقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ...﴾.

النسك: هو الذبح.

قوله: وقول الله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾.

الذبح يكون لبهيمة الأنعام عدا الإبل فيكون فيها النحر وكذا الخيل عند الحاجة.

ونقل النووي الإجماع على جواز نحر المذبح وذبح المنحور، والأولى وضع كل شيء في موضعه والله أعلم، مع أن الصحيح وجود الخلاف.

قال شيخ الإسلام: قَرَنَ الله الذبح بالصلاة في موضعين من كتابه، وذلك لأن الصلاة البدنية والذبح أجل العبادات المالية.

اللام في كل من «الله» «لربك» لام الاختصاص؛ أي أن الذبح تعبدًا خاصًا بالله.

الذبح من أجل العبادات لأن فيه عبادتان:

عبادة باطنة لما وقع

في قلب الذابح من نية
التقرب إلى الله.

عبادة ظاهرة عند

قول الذابح «بسم الله»
مع الذبح ومباشرة الذبح وغير ذلك.

قوله: وعن علي بن أبي طالب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال حدثني رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بأربع كلمات... الحديث.

«اللعن» هو الطرد من الرحمة الخاصة.

أهل البدع من المحدثين الذين لا يجوز إيواؤهم لقوله: صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «كل محدثة بدعة». ويدخل في إيواء المحدث من يؤوي الذين يفسدون في الأموال والأعراض والدماء. الشاهد: لعن الله من ذبح لغير الله.

قوله: وعن طارق بن شهاب أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «دخل الجنة رجل في ذباب، ودخل النار رجل في ذباب...» الحديث.

طارق بن شهاب اختلف في صحبته وهو يرويه عن سلمان موقوفاً وهو الصحيح، ورواية الرفع خطأ، كما بين ذلك الألباني في الضعيفة برقم «٥٨٢٩».

فائدة (١): إراقة الدم تقرباً لغير الله شرك أكبر وإن كان بشيء يسير.

مسائل:

١- من ذبح وتعمد ترك التسمية لا تجوز ذبيحته.

٢- من ذبح ونسى التسمية لا شيء عليه على الصحيح ودل على ذلك عموم أدلة العفو

عن النسيان.

فائدة (٢): الذبح عند الاستسقاء بدعة إذا نواها لله، وإن كانت لغير الله فشرك.

٣- ذبيحة أهل الكتاب جائزة أما إذا تيقن أنه عند الذبح يسمي باسم المسيح فهذا لا تجوز ذبيحته.



باب: لا ذبح في مكان يذبح فيه لغير الله

وقول الله تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ [سورة التوبة: ١٠٨]. الآية.

عن ثابت بن الضحاك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: نذر رجل أن ينحر إبلاً ببوانة، فسأله النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد»؟ قالوا: لا. قال: «فهل كان فيها عيد من أعيادهم»؟ قالوا: لا. فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أوف بنذرِك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم» رواه أبو داود، وإسنادها على شرطهما.

الشرح

هذا الباب ذكره المؤلف لبيان سد الذرائع الموصلة إلى الشرك.

والذبح عند قبر أو مكان يعظمه أهل الشرك له حكمان:

شرك أصغر

بدعة

لأنه ذريعة للشرك الأكبر.

لأنه خصص مكان للذبح بغير دليل.

ولأن الذبح عبادة فلا يكون إلا بمكان أذن الله به، وكيف وقد نهى رسول الله عن ذلك.

قوله: وقول الله تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ...﴾. هذا الخطاب للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينهاه الله أن يقوم في مسجد بناه المنافقون.

فائدة: المسجد الذي أسس على التقوى هو قباء وقيل: مسجد رسول الله ﷺ والمراد به في الآية مسجد قباء لأنه بني قبل المسجد الحرام ويدخل فيه المسجد النبوي من باب أولى؛ لأنه أفضل ولأنه أسس على التقوى من أول يوم كذلك، والله أعلم.

الطهارة على قسمين:

طهارة معنوية

وهي طهارة القلب

من الشرك والبدع والمعاصي.

طهارة حسية

وهي طهارة الثياب وغيره من الأوساخ.

قوله: وعن ثابت بن الضحاك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: نذر رجل أن ينحر... الحديث.

بوانه: بضم الباء منطقة بين يلملم ومكة.

ومناسبة السؤال أنه نذر أن ينحر بمكان مخصوص.

الأعياد على قسمين:

ممنوعة

محرمة

ما كان بسبب

ديني وفيه تشبه

بالكفار كأعياد الميلاد.

مبتدعة

ما كان بسبب مناسبة

دينية كالمولد النبوي.

مشروعة

وهي يوم الفطر ويوم النحر

وأيام التشريق وهذه أعياد سنوية

وعيد أسبوعي وهو يوم الجمعة.

الأعياد الممنوعة على قسمين باعتبار آخر:

أعياد مكانية

بتخصيص مكان معين

عند قبر أو مسجد معين

كقبر البدوي والحسين وغيرهما.

أعياد زمانية

بتخصيص زمن معين

كالمولد والإسراء ورأس السنة.

باب: من الشرك النذر لغير الله

وقول الله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ [سورة الإنسان: ٧]. وقوله: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّنْ نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِّنْ نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ [سورة البقرة: ٢٧٠].

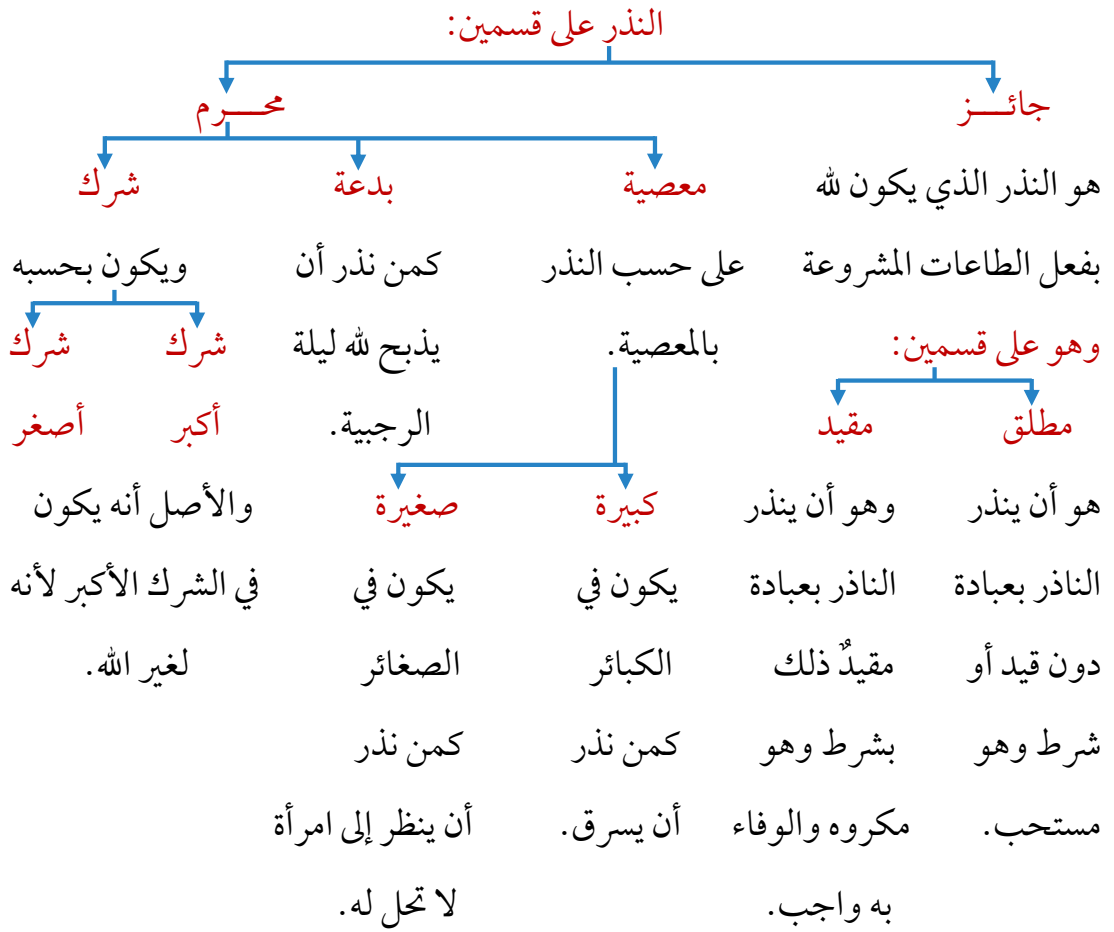
وفي «الصحيح» عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه».

الشرح

كل نذر لغير الله يعتبر شركاً.

النذر لغة: هو القطع والجزم.

واصطلاحاً: هو إيجاب المكلف على نفسه عبادة لم يؤمر بها شرعاً.



مسألة (١): من نذر نذراً ممنوعاً فماذا يلزمه؟

الجواب: أولاً التوبة إلى الله، ثانياً الكفارة «كفارة يمين» وهذا صح عن ابن عباس وابن مسعود.

مسألة (٢): ما حكم نذر اللجاج؟

الجواب: أولاً اللجاج هو: الاستمرار في الشيء سواء كان جائزاً أو مكروهاً أو محرماً، قال الجمهور هو مخير بين الوفاء والكفارة إن كان مكروهاً أو جائزاً، فإن كان محرماً فلا

يجوز له الوفاء به بل يجب عليه الرجوع عنه مع الكفارة، واختاره شيخ الإسلام وابن القيم والإمام ابن باز والعثيمين.

مسألة (٣): ما حكم من نذر نذرًا لا يطيقه سواء كان مطلقاً أو مقيداً؟

الجواب: عليه الكفارة. قاله ابن عباس، وفيه حديث صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

مسألة (٤): ما حكم من نذر نذرًا لا يملكه؟

الجواب: النذر باطل ولا يلزمه شيء وعليه التوبة، وقال بعضهم عليه كفارة يمين والأول الأقرب.



باب: من الشرك الاستعاذة بغير الله

وقول الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾
[سورة الجن: ٦].

وعن خولة بنت حكيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «من نزل منزلاً فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك» رواه مسلم.

الشـرح

الاستعاذة لغة: طلب العوذ واللجوء.

واصطلاحاً: هي الهرب من شيء تخافه إلى من يعصمك منه.

ومادة الألف والسين والتاء تدل على الطلب غالباً، وقد تأتي ويراد بها الكثرة كقوله تعالى: ﴿وَأَسْتَغْنَى اللَّهُ﴾ [سورة التغاين: ٦]. أي كثر غناه.

والمؤلف رحمه الله أطلق الاستعاذة بغير الله كلها على أنها شرك وهذا هو الأصل.

ومن العلماء من يرى أن الاستعاذة بغير الله فيها تفصيل، ومنهم من يرى أنها شرك مطلقاً، والصواب التفصيل ومن أطلق المنع يحمل كلامه على الممنوع منها.

أقسام الاستعاذة

محرمة	جائزة	واجبة أو مستحبة
شرك أكبر وتكون	تكون بإنسان حي	تكون بالله وبأسمائه
بغير الله فيما لا يقدر	قادر حاضر أو غائب	وصفاته.
يقدر عليه إلا الله	نزل منزلة الحاضر	
كاستعاذة بغير الله	وهذا جائز لقول النبي	
من النار.	صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:	

«من وجد ملجأً أو معاذاً فليعذ به»

قوله: وقول الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْحِجِّ ...﴾ الآية.

جاء عن مجاهد وقتادة أن المشركين كانوا إذا خرجوا ونزلوا منزلاً يزعمون أن هذا الوادي في سلطان الجن فيستعيذون بزعيم جن هذا الوادي من شر أهله «بتصرف».

﴿رَهَقًا﴾ قيل: خوفاً وقيل: إثماً، والمعنى يشمل الجميع.

قوله: وعن خولة بنت حكيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «من نزل منزلاً فقال أعوذ بكلمات الله ...» الحديث.

خولة بنت حكيم: قيل: إنها من جملة الواهبات أنفسهن للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

«نزل منزلاً» أي مكاناً للراحة أو الأكل أو المقيط: ونحوه.

«كلمات الله» كلمات الله من صفاته سبحانه، وهذا فيه دليل على أن القرءان غير مخلوق

لأنه من كلماته،

وفيه: جواز الاستعاذة بأسماء الله وصفاته، ولا يستعاذ بمخلوق.

«التامات» الكاملات التي لا نقص فيها بوجه من الوجوه، لأنها صدق في الأخبار عدل في الأحكام.

«ما خلق» ما: موصولة بمعنى الذي، أي: الذي خلق، وهي تفيد العموم، فتشمل الاستعاذة من جميع الشرور.

فائدة: المخلوقات تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: مخلوقات خير محض، كالرسل والجنة

الثاني: مخلوقات شر كإبليس

الثالث: مخلوقات فيها خير وشر كسائر المخلوقات.

من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ ۝١٠٦ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ [سورة يونس: ١٠٦-١٠٧]. الآية. وقوله: ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ﴾ [سورة العنكبوت: ١٧]. الآية. وقوله: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ [سورة الأحقاف: ٥]. الآيتان. وقوله: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [سورة النمل: ٦٢].

وروي الطبراني بإسناده أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين، فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق. فقال النبي ﷺ: «إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله عز وجل».

الشرح

جمع المؤلف في هذا الباب بين أمرين: الاستغاثة والدعاء، والاستغاثة داخله في الدعاء لأنها بعض أنواعه فذكرها من باب عطف العام على الخاص، وبين الدعاء والاستغاثة عموم وخصوص فإن الدعاء يكون لطلب نفع أو دفع ضرر، أما الاستغاثة فلا تكون إلا لطلب دفع ضرر.

والاستغاثة لغة: طلب الغوث.

واصطلاحاً: طلب العبد دفع مكروه نزل به.

والفرق بينها وبين الاستعاذة: أن الاستعاذة من ضرر يتوقع حصوله، والاستغاثة من ضرر حاصل.

أقسام الاستغاثه

استغاثه محرمة

وتكون بغير الله فيما

حرمه الله أو فيما لا يقدر

عليه إلا الله ومنها ما يكون

شركاً أو كبيرة أو صغيرة.

استغاثه جائزة

بإنسان حي حاضر قادر.

استغاثه واجبة

وتكون بالله وبأسمائه.

الدعاء لغة: هو مطلق الطلب.

واصطلاحاً: هو طلب جلب نفع أو دفع ضرر، وهو ينقسم إلى قسمين: دعاء مسألة ودعاء وعبادة.

مسألة: الفرق بين دعاء المسألة ودعاء العبادة؟

الجواب: الفرق بينهما من أربعة أوجه:

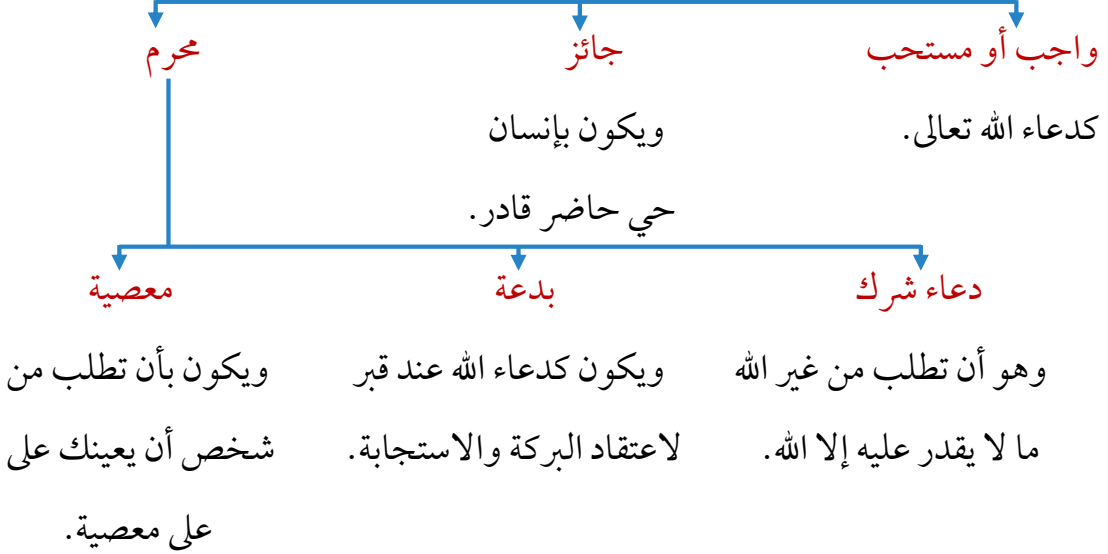
الوجه الأول: دعاء المسألة يكون بلسان المقال ودعاء العبادة بلسان الحال.

الوجه الثاني: دعاء المسألة متعلق بتوحيد الربوبية، ودعاء العبادة متعلق بتوحيد الألوهية.

الوجه الثالث: دعاء المسألة يجوز صرفه لغير الله بشروط ودعاء العبادة لا يجوز صرفه لغير الله مطلقاً.

الوجه الرابع: دعاء المسألة قد يقبله الله من الكافر عند الاضطرار، ودعاء العبادة لا يقبل إلا من المسلم.

أقسام الدعاء من حيث الحكم



قوله: وقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ...﴾ الآية.

﴿مِّنَ الظَّالِمِينَ﴾ أي الظلم الأكبر وهو الشرك.

المراد بالدعاء في الآية دعاء العبادة ودعاء المسألة فيما لا يقدر عليه إلا الله.

قوله: وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ...﴾ الآية.

الرزق من عند الله وحده إذن فهو المستحق للعبادة وحده.

قوله: وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ...﴾ الآية.

أي لا يوجد من هو أشد ضلالاً ممن يدعو من دون الله.

مسألة: لماذا حكم الله على هذا أنه أضل الناس؟

الجواب: لأربعة أمور:

١- لأنه دعا من لا يستجيب له. ٢- لأنه دعا من هو غافل عنه وعن دعائه.

٣- لأنه يكون يوم القيامة من أعدائك. ٤- لأنه يتبرأ منك يوم القيامة.

قوله: «منافق يؤذي المؤمنين...» الحديث.

الحديث ضعيف، وعلى فرض صحة الحديث فيحمل على سد الذرائع؛ لأن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يقدر أن يكف أذى المنافق الذي يؤذي المؤمنين. وإنما قال تلك المقالة لقطع باب التعلق بغير الله، والله أعلم.



باب قول الله تعالى: ﴿أَيُّ شَيْءٍ يَكُونُ مَا لَا يُخْلَقُ شَيْئًا وَهُمْ يَخْلُقُونَ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ وقوله: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ الآية

وفي «الصحيح» عن أنس قال: شَجَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم أحد وكسرت رباعيته، فقال: «كيف يفلح قوم شَجُّوا نبيهم»؟ فنزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ وفيه عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه سمع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر: «اللهم العن فلاناً وفلاناً» بعدما يقول: «سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد» فأنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ الآية وفي رواية: «يدعو على صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام»، فنزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ وفيه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين أنزل عليه: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ قال: «يا معشر قريش - أو كلمة نحوها - اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً، يا صفية عمه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا فاطمة بنت محمد سليمان من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئاً».

الشرح

هذا الباب ذكره المؤلف وهو متعلق بتوحيد الربوبية، وما تقدم من الأبواب متعلق بتوحيد الألوهية.

فإن الرسل جاؤوا لتقرير توحيد الألوهية ولم يعرف مخالف في توحيد الربوبية إلا من بعض الفلاسفة الدهرية الذين قالوا ما يهلكنا إلا الدهر، وكذلك النمروذ بن كنعان الذي

حاج إبراهيم في ربه وفرعون، وكذلك الطبائعون الذين يقولون لا إله والحياة مادة فهو لا ينكرون وجود الرب؛ أي توحيد الربوبية كما تقدم، والخطاب في الآية لكفار قريش.

﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ أي الأصنام يحتاجون من يخلقهم، ومثال هذا لا يصلح ليكون إلها.

قوله: وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ (١٣) **﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ...﴾** [سورة فاطر: ١٣-١٤]. الآية.

القطمير: هو لفافة نواة التمر كما قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة.

مسألة: هل يسمع الأموات أو لا يسمعون؟

الجواب: فيه خلاف والصحيح أنهم لا يسمعون إلا في حالات مستثناة بأدلة خاصة، وهي:

١- بعد الدفن: لحديث أنس في الصحيحين «إذا وضع العبد في قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم».

٢- عند السلام عليهم، لكن الحديث الوارد في ذلك فيه ضعف.

قوله: وفي الصحيح عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال شج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.... الحديث.

الذي كسر رباعية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو عتبة بن أبي وقاص ومات على كفره.

وفيه أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يملك لنفسه شيئاً فكيف يملك لغيره، ومن باب أولى من كان دون النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله: وفيه عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه سمع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة... الحديث.

في الصحيح أنه قنت شهراً كاملاً في جميع الصلوات، وتخصيص القنوت بالفجر في بعض الأحاديث يحمل على المداومة في الفجر وتركه أحياناً في بقية الصلوات.

قوله: وفيه عن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: قام فينا رسول الله... الحديث.

«حين أنزل» حين أمر بالتبليغ.

«اشتروا» أي بطاعة الله وتوحيده.

فيه أن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لا يدخل الجنة أحداً، ولا يخرج من النار أحداً، وإنما الأمر في ذلك لله وحده، وأما حديث «اذهب فأخرج من النار من في قلبه ذرة من إيمان» فيحمل على أنه يخرجهم بإذن الله، والله أعلم.



باب قول الله تعالى: ﴿حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير﴾

وفي «الصحيح» عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله، كأنه سلسلة على صفوان ينفذهم ذلك. حتى إذا فُزِعَ عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترق السمع - ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض - وصفه سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه - فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، حتى يلقيها عن لسان الساحر أو الكاهن فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مائة كذبة فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا: كذا وكذا فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء».

وعن النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا أراد الله تعالى أن يوحى بالأمر تكلم بالوحي أخذت السماوات منه رجفة - أو قال رعدة - شديدة خوفاً من الله عز وجل. فإذا سمع ذلك أهل السماوات صعقوا وخروا سجداً. فيكون أول من يرفع رأسه جبريل، فيكلمه الله من وحيه بما أراد، ثم يمر جبريل على الملائكة، كلما مر بسماء سألها ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول جبريل: قال الحق وهو العلي الكبير فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل. فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل».

الشــــــــــــــــرح

«فزع»: أي ذهب عنهم الفزع، «وعن» تفيد المجاوزة؛ أي تجاوزوا الفزع.

وهذا الباب متعلق بتوحيد الربوبية من حيث دلالاته على عظمة الله تعالى وخوف الملائكة من الله تعظيماً.

ومتعلق بتوحيد الألوهية لأن الخضوع عبادة والملائكة تخضع لله تعالى خوفاً منه.

قوله: وفي الصحيح عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إذا قضى الله الأمر في السماء...» الحديث.

«قضى» بمعنى أوحى.

واختلف في منع الشياطين خبر السماء هل كان بعد البعثة، أم قبل البعثة، وظاهر الأدلة أن المنع واقع قبل وإنما زيد في التشديد عليهم بعد البعثة، والله أعلم.



باب: الشفاعة

وقول الله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [سورة الأنعام: ٥١]. وقوله: ﴿قُلِ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا﴾ [سورة الزمر: ٤٤]. وقوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٥]. وقوله: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ﴾ [سورة النجم: ٢٦]. وقوله: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شَرِكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مَنِ ظَهِيرٌ﴾ [سورة سبأ: ٢٢]. الآيتين.

قال أبو العباس: نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون، فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه، أو يكون عوناً لله، ولم يبق إلا الشفاعة، فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرْتَضَىٰ﴾.

فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون، هي منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن، وأخبر النبي ﷺ أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده، لا يبدأ بالشفاعة أولاً، ثم يقال له: ارفع رأسك، وقل يسمع، وسل تعط، واشفع تشفع.

وقال له أبو هريرة: من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله؟ قال: «من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه» فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله، ولا تكون لمن أشرك بالله.

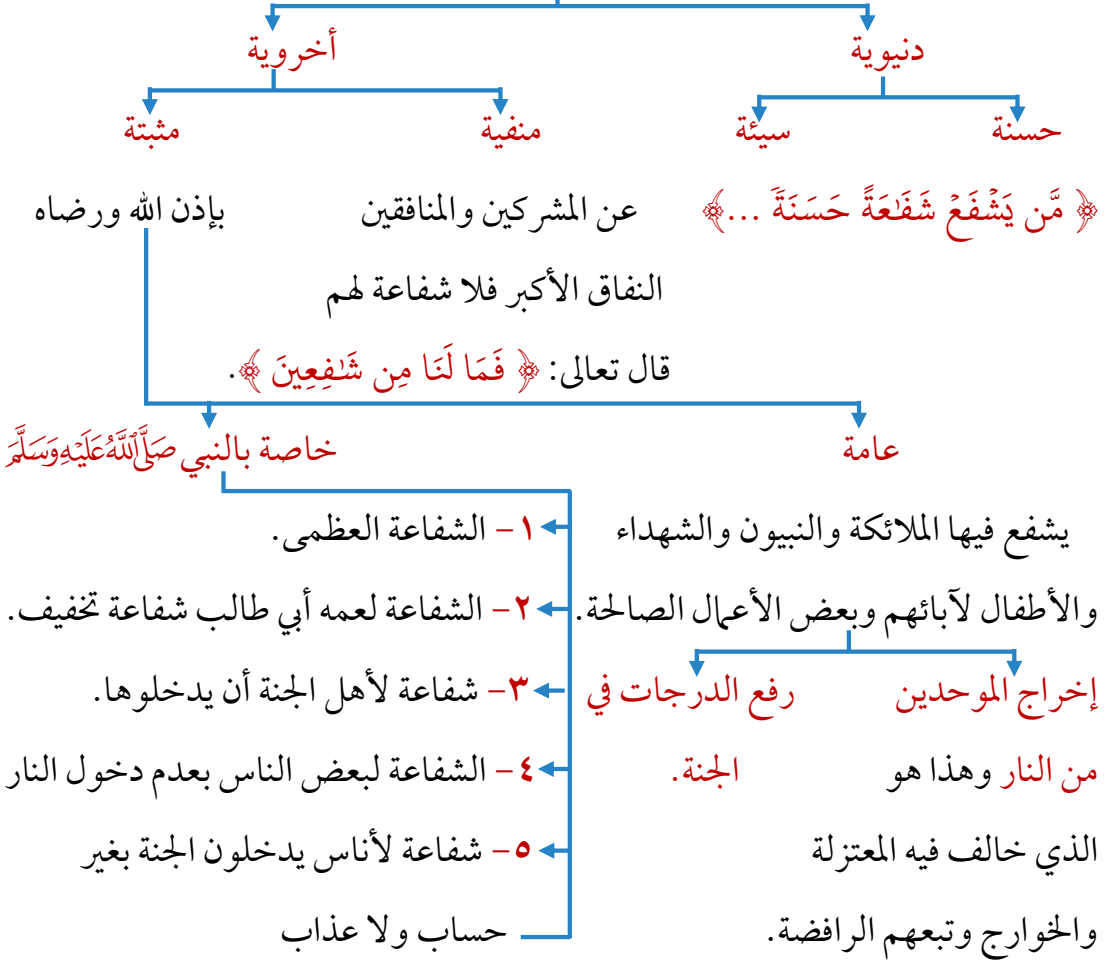
وحقيقته: أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع، ليكرمه وينال المقام المحمود. فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك، ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع، وقد بين النبي ﷺ أنها لا تكون إلا

لأهل التوحيد والإخلاص. انتهى كلامه.

الشفاعة

الشفاعة لغةً: مأخوذة من الشفع ضد الوتر؛ لأن الذي يقوم بها اثنان الشافع والمشفوع وهو صاحب الحاجة. واصطلاحاً: هي التوسط للغير في جلب نفع أو دفع ضرر.

أقسام الشفاعة



وقد جمع الله هذين الشرطين في سورة النجم بقوله: تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ [سورة النجم: ٢٦].

مسألة: ما دليل من أنكر الشفاعة وما الرد عليه؟

الجواب: استدل من أنكر الشفاعة بالأدلة التي تنفي الشفاعة، والرد عليهم أن الآيات التي جاءت في نفي الشفاعة وردت في حق الكفار، كما هو ظاهر من سياق الآيات قبلها وبعدها، والآيات المثبتة للشفاعة بإذن الله في حق عصاة الموحدين، ولا بد من هذا التفصيل وإلا لزم القول بتعارض القرآن وهذا كفر. والله أعلم.

والآيات المثبتة للشفاعة عامة وتفسرها الأحاديث الصحيحة المتواترة.

تنبيه: لأهل البدع المنكرين لبعض أنواع الشفاعة شبه أخرى وقد يسر بذكر جملة منها مع الجواب على جميعها من وجوه في كتابي: "بريق الخريدة" فليرجع إليه

فائدة: أحاديث الشفاعة من الأحاديث المتواترة رواها جمع كثير من الصحابة.

وللإمام الوادعي **رَحْمَةُ اللَّهِ** كتاباً قيماً في الشفاعة لم يُصنف مثله.



باب: قول الله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾

وفي «الصحيح» عن ابن المسيب عن أبيه قال: «لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعنده عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل، فقال له: «يا عم، قل: لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله» فقالا له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فأعاد عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأعادا فكان آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول: لا إله إلا الله. فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لأستغفرن لك ما لم أنه عنك» فأنزل الله عز وجل ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ الآية. وأنزل الله في أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾.

الشرح

مسألة: ما علاقة التوحيد بالهداية؟

الجواب: العلاقة أن أعظم الهداية هي الهداية إلى التوحيد وما بعدها إنما هو من كمال الهداية الواجبة ولا هداية إلا به.

أنواع الهداية

الهداية العامة	هداية الدلالة	هداية التوفيق	الهداية الأخروية
لجميع المخلوقات	والإرشاد وهذه	والإلهام «الإعانة»	وهي هداية أهل الجنة
في معرفة ما	بيد الله وحده	وهي خاصة بالله	إلى الجنة وهداية أهل
ينفعها وما	وجعل من خلقه	ودليلها قوله تعالى:	النار إلى النار ودليلها
يضرها	ومما شاء أسباب	﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي﴾	قوله: تعالى:
قال تعالى:	لها مثل القرآن	﴿مَنْ يَشَاءُ﴾.	﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي﴾
﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ	والأنبياء.		﴿مَنْ أَحْبَبْتَ﴾.
شَيْءٍ خَلَقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾.			

* والناس يتفاوتون في الهداية كل بحسبه.

* ذكر ابن القيم في المدايح للهداية عشر مراتب أولها التكليم وآخرها الرؤيا الصالحة، وجعل أعلى مراتب الهداية في الآخرة النظر إلى وجه الرحمن سبحانه وتعالى.

فائدة: نفى الله تعالى عن نبيه الهداية كما في الآية، والمراد بها هداية التوفيق والإلهام،

وأما هداية الدلالة والإرشاد فقد أثبتها الله لنبيه في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [سورة الشورى: ٥٢].

فائدة: من أعظم أسباب الهداية الدعاء لما في مسلم عن أبي ذر مرفوعاً فيما يرويه عن ربه: «يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم» أي: اطلبوا مني الهداية.

باب: ما جاء في كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين.

وقول الله عز وجل: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ [سورة النساء: ١٧١].

وفي «الصحیح» عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [سورة نوح: ٢٣]. قال: «هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا، ولم تعبد، حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم، عبدت».

وقال ابن القيم: قال غير واحد من السلف: لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم.

وعن عمر أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله» أخرجاه.

وقال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إياكم والغلو، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو». ولمسلم عن ابن مسعود أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «هلك المتنطعون» قالها ثلاثاً.

الشرح

مسألة: ما سبب كفر بني آدم؟

الجواب: سبب ذلك أمران هما:

١ - الغلو في الصالحين وكان في قوم نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ.

٢- تعظيم النجوم والكواكب وكان في قوم إبراهيم **عليه السلام**.

ومردهما إلى التصوير، فإن قوم نوح صوروا تماثيل لصالحهم فطال الأمد فعبدوها، وقوم إبراهيم **عليه السلام** بنوا الهياكل للكواكب وصوروا فيها التماثيل لاعتقادهم أن للكواكب أرواحاً تحل في هذه التماثيل ثم عبدها من دون الله.

قوله: وقول الله عز وجل: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ...﴾ الآية.

الغلو: مجاوزة الحد مدحاً أو قدحاً، والمقصود هنا المبالغة في المدح.

فائدة: إذا أطلق الغلو يراد به الزيادة في المدح.

فاليهود زادوا في المدح في عزير **عليه السلام** فقالوا ابن الله، والقديح في عيسى **عليه السلام** حيث قالوا إنه ولد زناً، والنصارى زادوا في مدح عيسى **عليه السلام** حتى عبده وقالوا هو ابن الله وثالث ثلاثة.

قوله: وفي الصحيح عن ابن عباس في قول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ الحديث بتمامه.

الأثر لا يصح عن ابن عباس وسبب ذلك أنه من رواية ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس، وعطاء هو الخراساني وهو ضعيف وابن جريج لم يسمع التفسير من عطاء مباشرة بل سمعه من ابنه عثمان وهو ضعيف. وقد ورد مصرحاً به في تفسير عبد الرزاق أنه الخراساني وقد دافع الحافظ وغيره عن هذا الأثر.

قوله: وعن عمر أن رسول الله قال: «لا تطروني كما أطرت...».

الإطراء: هو المبالغة في المدح خاصة، بعكس الغلو فإنه المبالغة في المدح أو الذم.

قوله: وقال: قال رسول الله «إياكم والغلو فإنما أهلك...» الحديث.

قوله: ولمسلم عن ابن مسعود أن رسول الله قال: «هلك المتنطعون» قالها ثلاثاً، كرر ذلك لأهميته، والتنطع هو: التكلف في البحث عن الشيء.

باب: ما جاء في التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده

في «الصحيح» عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن أم سلمة ذكرت لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كنيسة رأتها في أرض الحبشة وما فيها من الصور. فقال: «أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجداً، وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله» فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين، فتنة القبور، وفتنة التماثيل.

ولها عنها قالت: «لما نزل برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه، فقال وهو كذلك: "لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد" يحذر ما صنعوا، ولولا ذلك أبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً»، أخرجاه.

ولمسلم عن جندب بن عبد الله قال: سمعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: «إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله قد اتخذني خليلاً، كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً، لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك».

فقد نهى عنه في آخر حياته، ثم إنه لعن - وهو في السياق - من فعله، والصلاة عندها من ذلك، وإن لم يُتَيَّنَ مسجد، وهو معنى قوله أخشى أن يتخذ مسجداً، فإن الصحابة لم يكونوا لينوا حول قبره مسجداً، وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجداً، بل كل موضع يصل فيه يسمى مسجداً، كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً».

ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً: «إن من شرار الناس من تدركهم

فائدة (٣): قال الإمام الصنعاني في مسألة إدخال قبر النبي إلى المسجد فقال: المسألة دولية لا دليليه. أي أنها من فعل الملوك لا بإذن الشرع وأدلته.

فائدة (٤): عبادة الله عند القبور إما أن تكون بدعة أو شركاً أصغر وقد يجتمع فيها الأمران.

فائدة (٥): قال الإمام المعلمي **رَحْمَةُ اللَّهِ فِي كِتَابِهِ «التنكيل»**: «من أوسع أودية الباطل الغلو في الأفاضل».



باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثاناً تعبد من دون الله

روى مالك في «الموطأ»: أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» ولا بن جرير بسنده عن سفيان عن منصور عن مجاهد: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ﴾ [سورة النجم: ١٩]. قال: كان يلت لهم السويق فمات فعكفوا على قبره، وكذلك قال أبو الجوزاء عن ابن عباس: كان يلت السويق للحاج.

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج». رواه أهل السنن.

الشرح

هذا الباب يعتبر كاللتمة للباب المتقدم.

والغلو في الصالحين ممقوت لأنه يوصل إلى الشرك.

قوله: روى مالك في «الموطأ»: أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد...» الحديث.

فائدة (١): الإمام مالك هو أول من ألف في علم الحديث وكتابه أحسن كتاب بعد الصحيحين.

ودعاء النبي ألا يجعل الله قبره وثناً يُعبد لأن بعض قبور الأنبياء عُبِدت من دون الله.

فائدة (٢): الغلو في الصالحين وبناء المساجد على قبورهم لا يجوز لأمر:

١- اللعن لمن فعل ذلك. ٢- وصف من فعل ذلك بأنهم شرار الخلق.

٣- النهي الصريح عن ذلك. ٤- شدة غضب الله عليهم.

قوله: وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «لعن رسول الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج». رواه أهل السنن.

لفظ «زائرات» لم يصح.

ولفظ «وزارات»: أي المكثرات من الزيارة. [حسن هذه اللفظة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ].

«المتخذين عليها المساجد والسرج» لم تصح كذلك في هذا الحديث وإن كان معناه صحيحاً. للأحاديث المتقدمة.

فائدة (٣): اتفق أهل العلم على تحريم اتخاذ السرج على القبور، لأنه يؤدي إلى تعظيمها فيُتَوَصَّلُ بذلك إلى الشرك بالله سبحانه تعالى.



باب: ما جاء في حماية المصطفى جناب التوحيد، وسده كل طريق يوصل إلى الشرك

وقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ [سورة التوبة: ١٢٨]. الآية.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلوا عليّ، فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم» رواه أبو داود بإسناد حسن، ورواته ثقات.

وعن علي بن الحسين: أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيدخل فيها فيدعو، فنهاه، وقال: ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لا تتخذوا قبري عيداً، ولا بيوتكم قبوراً، وصلوا عليّ فإن تسليمكم يبلغني أين كنتم». رواه في المختارة.

الشــــــــــــــــرح

استنبط العلماء من هذه الأدلة قاعدة: «سد الذرائع» فكل طريق ووسيلة توصل إلى الشرك الأكبر وما دونه مما حرم الله فهي ممنوعة.

«المصطفى» ليس من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما من أوصافه، وهو مأخوذ من الاصطفاء وهو الاختيار والاجتباء فهو وصف لا اسم.

«جناب التوحيد» أي حدود التوحيد، هو ركن الشيء.

قوله: «وسده كل طريق يوصل إلى الشرك» أي أغلق النبي كل طريق يوصل إلى الشرك ولو لم يكن هذا العمل شرك، لحماية التوحيد وحراسته.

قوله: وقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ...﴾ الآية.

الشاهد: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ وأعظم حرص من النبي على هذه الأمة حرصه على عدم الوقوع في الشرك إذن فهو حريص على هذه الأمة في جميع أمر دينها ودنياها، وأعظم حرص منه حرصه على توحيدها لربها لكونه أساس نجاتها.

«العت» هو المشقة. و«ما» مصدرية «عتكم» أي مشقتكم.

أي يصعب عليه حصول المشقة على أمته وهذا من عظيم رحمته صلى الله عليه وسلم.

قوله: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله «لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قברי عيداً». الحديث.

«لا» ناهية. وفيه إشارة إلى أن المقابر لا تصلح للعبادة.

قوله: «لا تجعلوا بيوتكم قبوراً» أي لا تجعلوها معطلة عن العبادة مثل المقابر، وهذا من باب سد الذرائع.

«عيداً» العيد هو اليوم الذي يعود ويتكرر.

«لا تجعلوا قברי عيداً» أي لا عيداً زمانياً ولا مكانياً فتجتمعوا عنده فإني أنهاكم عن ذلك.

فائدة (١): زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم بدون تخصيص وبدون شدٍ رحلٍ جائزٌ بلا خلاف، والله أعلم.

فائدة (٢): ما من بدعة ولا معصية إلا وفيها شبهٌ من اليهود أو النصارى.

باب: ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان

وقول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ﴾ [سورة النساء: ٥١]. وقوله: تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَعَظِمَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ ﴾ [سورة المائدة: ٦٠]. وقوله: تعالى: ﴿ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ۖ ﴾ [سورة الكهف: ٢١].

عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه» قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: «فمن»؟ أخرجاه، ولمسلم عن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها، وأعطيت الكنزين: الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامة، وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال: يا محمد إذا قضيت قضاءً فإنه لا يرد وإني أعطيتك لأمتك ألا أهلكهم بسنة بعامة وألا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضها ويسبي بعضهم بعضاً»، ورواه البرقاني في صحيحه، وزاد: «وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين، وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد فئة من أمتي الأوثان، وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي. ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصوره لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى».

الشـــــــــــــــــــــــــــــــــرح

قوله: «بعض هذه الأمة» تقيّد جيّد من المؤلف؛ لأن الطائفة المنصورة لا تزال إلى قيام الساعة على الحق والتوحيد كما تواترت بذلك الأحاديث.

الأمة التي بعث إليها النبي قسماً:

أمة الإجابة وهم

أمة الدعوة وهم الكفار

المقصودون هنا لأنهم قد

استجابوا ثم وقعوا في الشرك.

قوله: وقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ...﴾ الآية.

«الجبّت» هو السحر وقيل: الكفر، وقيل: كل ما يعبد من دون الله، وهو اسم لما يستقبح.

«يؤمنون» بالشرك والكفر والإثم. والمقصود بهذه الآية هم اليهود.

قوله: وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ﴾ الآية.

فيها أن الشر يسمى ثواباً والخير يسمى ثواباً ولكن الشر ثواب سيء.

والذين حصل لهم اللعنة والغضب هم اليهود ومنهم القردة والخنازير.

«عبد الطاغوت» أي عباد الطاغوت.

قوله: وقوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾.

﴿الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ﴾ قيل: هم المؤمنون، وقيل: الكفار من تلك الأمة.

وقيل: كبراء القوم ورؤسائهم وهو الصحيح.

مسألة: ما هو الرد على من استدل بهذه الآية على جواز بناء المساجد على القبور؟

الجواب: يقال لهم الآية وردت مورد الدم وكذلك الذين بنوا المسجد هم أهل الغلبة من الأمراء ونحوهم لا أهل العلم والصلاح، ولو افترضنا تنزلاً أنه من فعل أهل العلم والصلاح فلا حجة فيه، لأن شرع من قبلنا لا يكون شرعاً لنا إذا ورد شرعنا بخلافه. وكذلك إذا كان هذا في شرعهم فإن شرعنا حرم ذلك كما دلت عليه عشرات الأدلة الصحيحة.

قوله: وعن أبي سعيد **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** أن رسول الله قال: «لتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة...» الحديث.

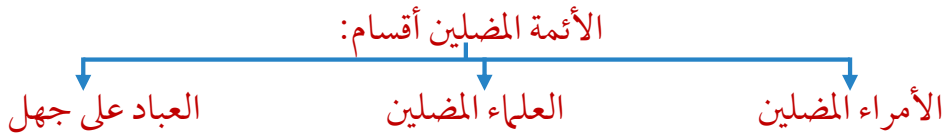
المراد به أنه يحصل التشبه باليهود والنصارى، في عامة أمورهم فيشمل العبادات والمعاملات والعادات والأخلاق، ومن ذلك الشرك في اتخاذ المساجد على القبور وكذلك هم عبدوها وبعض المسلمين عبدوها، فحصل اتباعهم في البناء وصرف العبادة لغير الله.

قوله: ولمسلم عن ثوبان أن رسول الله قال: «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقتها ومغاربتها...» الحديث.

«زوى لي الأرض» حيث جعل ينظر إليها كلها وكأنها صورة مصغرة إن صح التعبير.

«الكنزين» كنز كسرى وقيصر.

«سنة عامة» هو القحط وهذا لا يحصل في المسلمين جميعاً، وقد يحصل بمكان دون مكان.



«حتى يعبد فتام من أمتي الأوثان» هذا هو الشاهد، وقد حصل عبادة الأوثان في هذه

الامة من بعض الطوائف والأفراد تحت مسمى أضرحة الصالحين ومشاهدهم بل من الناس من صرف بعض العبادات لبعض الأحجار والأشجار وإلى الله المشتكى.



باب: ما جاء في السحر

وقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ [سورة البقرة: ١٠٢]. وقوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [سورة النساء: ٥١].

قال عمر: «الجبت»: السحر، «الطاغوت»: الشيطان. وقال جابر: الطواغيت: كهان كان ينزل عليهم الشيطان في كل حي واحد.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات» قالوا: يا رسول الله: وما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات».

وعن جندب مرفوعاً: «حد الساحر ضربة بالسيف» رواه الترمذي، وقال: الصحيح أنه موقوف.

وفي «صحيح البخاري» عن بجاله بن عبدة قال: كتب عمر بن الخطاب: أن اقتلوا كل ساحر وساحرة، قال: فقتلنا ثلاث سواحر.

وصح عن حفصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها، فقتلت، وكذلك صح عن جندب. قال أحمد: عن ثلاثة من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الشـرح

علاقة هذا الباب بالتوحيد أن السحر من أنواع الشرك.

السحر لغةً: ما خفي ولطف سببه.

واصطلاحاً: هو رقى وعقد وعزائم ينفث فيها الساحر مستعيناً بالشياطين.

فائدة: الشياطين لا تعين الساحر وتخدمه حتى يكفر بالله الكفر الأكبر وأعظمه.

السحر على قسمين:

سحر التمويه والخدع

وهذا لا يستعان فيه بالشياطين وإنما يستعمل فيه الذكاء سواءً بالأدوية والعقاقير وغيرها من حركات الخفة وحكمه بحسبه إن كان يوصل إلى الشرك فهو شرك وإن كان يوصل إلى الكبائر فهو من الكبائر وهكذا.

ما كان عن طريق الشياطين

والاستعانة بهم وهذا كفر عند جمهور العلماء. ونقل فيه بعضهم الإجماع وتأولوا ما جاء عن الشافعي عليه رحمة الله.

قوله: وقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ...﴾ الآية.

قال عمر: ألجبت السحر. والطاغوت: الشيطان.

تفسير الطاغوت بالشيطان هذا تعريف بالمثال، وهو من أنواع التعريفات، فالشيء قد يعرف بحقيقة وحده وقد يعرف بضده وقد يعرف بالمثال.

قوله: وعن أبي هريرة أن رسول الله قال: «اجتنبوا السبع الموبقات...» الحديث. «الموبقات» أي المهلكات.

قوله: «السبع» أي: أعظمها وإلا فهي كثيرة وقد صح عند ابن جرير عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال هي إلى السبعين أقرب، وقال هي إلى السبعمائة أقرب.

قوله: «والسحر» من باب عطف الخاص على العام لمزيد الاهتمام به في التحذير والجزم وإلا فهو من الشرك.

* قتل النفس يكون بالحق كالقصاص ودفع الباغي والصائل، ويكون بغير حق كالظلم والعدوان.

* النفس التي حرم الله هي نفس المؤمن - والمعاهد - والمستأمن - والذمي.

* خص مال اليتيم لشدة حرمة لأنه ضعيف عن الدفاع عن ماله، ولأنه يحتاج إلى إعانة ورعاية.

* القذف: هو الرمي بالزنا والفاحشة.

* المحصنات: جمع محصنة وهي العفيفة سواء كانت بكرًا أو ثيبًا.

* الغافلات: أي عن الفاحشة وعن أسبابها.

مسألة: هل يستتاب الساحر؟

فيه خلاف، بناء على الخلاف في السحر هل هو ردة أم كفر؟ فمن قال إن السحر ردة قال يستتاب، ومن قال السحر كفر وحده القتل قال: لا يستتاب، بل يقتل مباشرة،

وهذا هو الظاهر من عمل الصحابة فلم يأمرُوا باستتابة السَّحرة وهذا قول أحمد ومالك.

وقد صح قتل السَّحرة عن عمر وابنه وابنته حفصة وجندب وغيرهم من دون استتابة.

فائدة: السحر قد يقتل وقد يُمرض ولا يكون ذلك إلا بإذن الله كما قال تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [سورة البقرة: ١٠٢].



باب: بيان شيء من أنواع السحر

قال أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا عوف عن حيان بن العلاء، حدثنا قطن بن قبيصة عن أبيه أنه سمع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن العياقة والطرق والطيرة من الجبت». قال عوف: العياقة: زجر الطير، والطرق: الخط يخط بالأرض والجبت، قال: الحسن: رنة الشيطان. إسناده جيد ولأبي داود والنسائي وابن حبان في صحيحه، المسند منه.

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «من اقتبس شعبة من النجوم، فقد اقتبس شعبة من السحر، زاد ما زاد» رواه أبو داود وإسناده صحيح.

وللنسائي من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك، ومن تعلق شيئاً وكل إليه».

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «ألا هل أنبئكم ما الغضة؟ هي النميمة، القالة بين الناس» رواه مسلم. ولهما عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن من البيان لسحراً».

الشرح

هذا من باب بيان السحر بالمعنى اللغوي، وكل ما كان فيه خفاء وهو منهى عنه عده بعضهم سحراً.

وزجر الطير: ومعناه: أنهم يخرجون بغلس قبل خروج الطير من أوكارها ثم يستثيرونها لتطير ويستدلون بجهة طيرانها على شؤم اليوم أو سعادته.

والطيرة: «هي الشاؤم بالطير»، وهي أوسع من العيافة فإنها تشمل زجر الطير وغيره مما يتشاءم منه. وكذلك سماع صوتها، وأما العيافة فخاصة بزجر الطير.

الطرق: ويقال له الضرب بالرمل ويقال له: الخط، وصورة ذلك أن يخط عدد من الخيوط ثم من خلال هذه الخطوط يخبر بها عن المستقبل، وهذا من الكهانة.

ويدخل في ذلك ما يسمى بقراءة الكف وقراءة اللوح أو الفنجان ونحو ذلك من الأمور التي تتضمن ادعاء الغيب، وكلها لا تجوز وإن صاحب ذلك اعتقاد علم الغيب فهو كفر، وكذلك إذا كان يستعين بالشياطين فهو كفر.

وإن كان بغير هذه الأمور فلا يخلو من الشرك.

«الاقتباس» هو الأخذ «من اقتبس» أي تعلم «الشعبة» الفرع أو الجزء.

التنجيم على قسمين:

علم التسيير

وهو الاستدلال بسير النجوم على الجهات والمواقيت ومواسم الزراعة على أنها علامات.

علم التأثير

وهو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية وهذا شرك أكبر.

وعلم التسيير على قسمين:

وإن جعلها مجرد علامات فهذا جائز،

لقوله: تعالى: ﴿وَعَلَّمَتْ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾

وقوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوْقِيتٌ لِلنَّاسِ﴾

إذا كان يعتقد أن النجوم

تؤثر بنفسها فهذا شرك أكبر.

النفث نوعان:

محرم

جائز

إذا كان مع الرقى غير الشرعية.

إذا كان مع الرقية الشرعية.

* ومن النفث المحرم ما يكون شركاً أكبر وأصغر وبدعة ومعصية بحسب الكلام الذي يرقى به.

فائدة (١): أخبث أنواع السحر هو: السحر المعقود وهو الذي سحر به النبي، وأمر الله بالاستعاذة منه في قوله: تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ اللَّفْظَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ [سورة الفلق: ٤].

فائدة (٢): النميمة سحر من حيث المعنى وهي نقل الكلام بين الناس بغرض الافساد. وقال يحيى بن أبي كثير «يفسد المنام في ساعة ما لا يفسده الساحر في شهر» أخرجه ابن حبان في روضة العقلاء بسند جيد.

فائدة (٣): النميمة شابهت السحر من حيث التفريق بين الناس.

«البيان» الكلام الفصيح. وقوله: «لسحرا» أي: يسحر القلوب بحسن بيانه ومنطقه.

مسألة: هل ورد هذا مورد الذم أو المدح؟

الجواب: قيل: ورد على سبيل المدح وقيل: على سبيل الذم، والأحسن أن يقال هو بحسبه إن كان لإظهار الحق فهو على سبيل المدح، وإن كان لإظهار الباطل فهو على سبيل الذم.

فائدة (٤): قال الصنعاني: في كتابه تطهير الاعتقاد: «والأحوال الشيطانية لا تنحصر».

باب: ما جاء في الكهان ونحوهم

روى مسلم في صحيحه، عن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي قال: «من أتى عَرَفًا فسأله عن شيء فصدقه، لم تقبل له صلاة أربعين يوماً».

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «من أتى كاهناً فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ» رواه أبو داود.

وللأربعة، والحاكم وقال: صحيح على شرطهما، عن أبي هريرة «من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ». ولأبي يعلى بسند جيد عن ابن مسعود موقوفاً.

وعن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً: «ليس منا من تطير أو تُطير له أو تكهن أو تُكهن له أو سحر أو سُحر له، ومن أتى كاهناً فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ» رواه البراز بإسناد جيد، ورواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن من حديث ابن عباس دون قوله: «ومن أتى...» الخ.

قال البغوي: العراف: الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك وقيل: هو الكاهن والكاهن هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل وقيل: الذي يخبر عما في الضمير.

وقال أبو العباس ابن تيمية: العراف: اسم للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق.

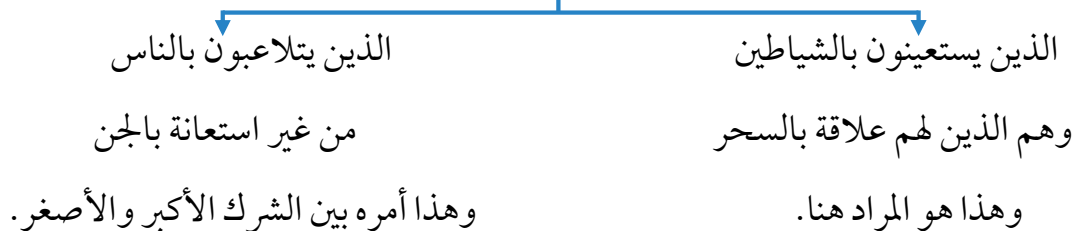
وقال ابن عباس -في قوم يكتبون «أبا جاد» وينظرون في النجوم-: ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق.

الشرح

مناسبة ذكر هذا الباب بعد ذكر شيء من أنواع السحر أن الكهانة والعرافة من أنواع السحر وتشترك مع السحر من جهة أن الغالب على الكهنة والعرافين يستعينون بالشياطين.

قوله: «ونحوهم» يدخل المنجمون والعرافون وكذلك من يقرأ الكف والفتنجان وغيرهم.

الذين يدعون الغيب على قسمين:



مسألة (١): ما الفرق بين الكاهن والعراف؟

الجواب: الكاهن: من يجبر عن الأمور المستقبلية، والعراف من يجبر عن الأمور الماضية، وسمى عرافاً لأنه يدعي معرفة مكان الضائعات.

وعند المحققين من أهل العلم أن الكاهن يطلق على العراف والعكس.

تنبيه: من تاب من هذا العمل توبةً نصوحاً فلا يناله الوعيد على الصحيح لعموم الأدلة التي تدل على عدم المؤاخذه بعد التوبة.

الكاهن: وصف لكل من يدعي الغيب.

مسألة (٢): ما الجمع بين حديث لا تقبل له صلاة أربعين يوماً، ورواية فقد كفر بما أنزل على محمد؟

الجواب: قيل: إنه كفر كفر أصغر؛ لأنه صلاته لا تزال مقبولة، وبعض الروايات مفسرة لبعض. نص على هذا ابن الجوزي وغيره.

وقيل: إذا لم يصدقه لم تقبل له صلاة أربعين ليلة، فإن صدقه فقد كفر بما أنزل على محمد وهذا عند من سلك مسلك الجمع، والصحيح أنه بحسب الذهاب إن كان يعتقد أنه يعلم الغيب فهذا كفر أكبر وما دونه أصغر.

أنواع الذهاب إلى العرافين والمنجمين:

يذهب إليه فيصدقه	يذهب إليه ولم	يذهب إليه ليختبره	يذهب إليه ليقيم
وهذا بحسبه إذا	يصدقه لم تقبل له	وهذا جائز كما فعل	عليه الحجة فهذا
اعتقد أنه يعلم	صلاة أربعين ليلة.	النبي مع ابن صياد	إما أن يكون واجباً
الغيب فهذا كفر أكبر		بشرط أن يكون	أو مستحباً لمن كان
وإن لم يعتقد ذلك فهو		أهلاً لذلك «مع	أهلاً لذلك.
كفر أصغر.		ضرورة مراعاة المصالح والمفاسد».	

تفسير «لا تقبل له صلاة»

إما لأن صلاته غير صحيحة	وإما أنها تصح ولكن لا
ولا تجزئ.	يؤجر عليها إذا أتى بشروطها وأركانها.

* والصحيح أنه يختلف باختلاف ما يقوم في قلب الذهاب.

تعليم «أبا جاد» ينقسم إلى قسمين:

تعليم محرم شرك

تعليم مباح

وهذا لمن يستخدمه في التنجيم وادعاء علم الغيب.

وهو ما يسمى بحساب الجمل.

باب: ما جاء في النشرة

عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سئل عن النشرة فقال: «هي من عمل الشيطان» رواه أحمد بسند جيد. وأبو داود، وقال: سئل أحمد عنها فقال: ابن مسعود يكره هذا كله.

وفي "البخاري" عن قتادة: قلت لابن المسيب: رجل به طب أو يؤخذ عن امرأته، أيحل عنه أو ينشر؟ قال: لا بأس به، إنما يريدون به الإصلاح، فأما ما ينفع فلم ينفعه عنه. أ.هـ. وروى عن الحسن أنه قال: لا يحل السحر إلا ساحر.

قال ابن القيم: النشرة: حل السحر عن المسحور، وهي نوعان: إحداهما: ... حل بسحر مثله، وهو الذي من عمل الشيطان، وعليه يحمل قول الحسن، فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يجب، ويبطل عمله عن المسحور. والثاني: ... النشرة بالرقية والتعوذات والأدوية والدعوات المباحة، فهذا جائز.

الشـرح

النشرة لغة: مأخوذة من النشر، وهو الفك، يقال: طيَّ ونشر. واصطلاحاً: فك السحر عن المسحور.

قوله: وعن جابر أن رسول الله سئل عن النشرة... الحديث.

حديث جابر مختلف فيه فإن كان صحيحاً فالمعنى واضح، وإن كان ضعيفاً فالعمل عليه عند أهل العلم، والصواب أنه صحيح؛ لأن وهب بن منبه قد صح سماعه من جابر كما جاء

مصرحاً به عند ابن خزيمة ونص على سماعه ابن معين والعراقي كما في تحفة التحصيل.

النشرة نوعان

فك السحر عن المسحور	فك السحر عن المسحور
بالسحر وهذا يلزم منه الذهاب	بالرقى والأدوية الشرعية
للسحرة وهذا محرم وهو المقصود	وهذا مباح وقد يكون واجباً
في الحديث.	وقد يكون مستحباً.

قوله: وفي صحيح البخاري عن قتادة قال: قلت لابن المسيب رجلٌ به طب... إلخ.

قوله: «يؤخذ عن امرأته» أي عند الجماع، فلا يقدر على وطئها.

المراد بقول ابن المسيب أي بالرقية الشرعية، وإن كن يقصد حل السحر بالسحر فهذا اجتهد منه، والظن به رحمه الله أنه لا يقصده لمعرفته بعموم الأدلة القاضية بتحريم الشرك وجميع وسائله والله أعلم.



باب: ما جاء في التطير

وقول الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّمَا طَبَّرَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الأعراف: ١٣١]. وقوله: ﴿قَالُوا طَبَّرَكُم مَّعَكُمْ﴾ [سورة يس: ١٩].

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لا عدوى، ولا طيرة، ولا هامة، ولا صفر» أخرجاه. زاد مسلم: «ولا نوء، ولا غول».

ولهما عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل» قالوا: وما الفأل؟ قال: «الكلمة الطيبة».

ولأبي داود بسند صحيح عن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ذكرت الطيرة عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «أحسنها الفأل، ولا ترد مسلماً فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك».

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً: «الطيرة شرك، الطيرة شرك، وما منا إلا، ولكن الله يذهبه بالتوكل» رواه أبو داود، والترمذي وصححه، وجعل آخره من قول ابن مسعود.

ولأحمد من حديث ابن عمرو: «من ردته الطيرة عن حاجة فقد أشرك» قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: «أن تقول: اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك». وله من حديث الفضل بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك».

الشــــــــــــــــرح

الطيرة: مطلق التشاؤم وتكون بالأصوات والذوات والأمكنة والأزمنة، والتطير من الشرك.

الطيرة على قسمين:

شرك أصغر

وهو أن يعتقد المتطير أن
تطيره سبب لحصول الضرر.

شرك أكبر

وهو أن يعتقد المتطير أن
تطيره مضر بذاته وطبعه.

فائدة (١): الطيرة من العقائد المشتهرة في الجاهلية فأبطلها الإسلام.

قوله: «لا عدوى» أي لا تنتقل العدوى؛ أي الأمراض المعدية بذاتها وإنما بإذن الله تعالى.

فائدة (٢): الأحاديث التي فيها نفي العدوى؛ أي على ما كان عليه أهل الجاهلية من أن العدوى تؤثر بذاتها، والأحاديث التي فيها إثبات العدوى؛ أي أنها تنتقل بإذن الله تعالى وهذا الجمع أحسن ما قيل في الجمع بين الأحاديث الواردة في هذا الباب والله أعلم.

قوله: «ولا هامة» قيل: إن معنى هامة اسم الطير يقال له هامة وهي البومة.

وهذا بعيد، وقيل: إن الرجل إذا مات مظلوماً تظهر صورته على شكل شبح على من قتله.

وأصل هذه العقيدة مأخوذة من النصارى ثم انتقلت إلى المشركين فأبطل الإسلام ذلك.

قوله: «ولا صفر» قيل: هو مرض يكون في البطن، وقيل: شهر صفر وهو الصحيح وذلك أن المشركين كانوا يتشاءمون بشهر صفر، وكانوا لا يتاجرون فيه ولا يتزوجون فيه، وهذا لا زال إلى الآن عند بعض الناس.

قوله: «ولا نوء» هو النجم «وسياتي ذكره».

قوله: «لا غول» جمعه غيلان وهو نوع من أنواع الجن كان بعضهم يعتقد أنها تظهر لهم في القفار والصحاري، وحديث «إذا تغولت الغيلان فعليكم بالأذان» لا يصح.

أحوال المتطيرين:

من لا يتطيرون	من تقع الطيرة في قلبه	من تقع الطيرة	من ترده الطيرة
أبداً وهم الكمل	على سبيل الوسوسة	في قلبه ولا ترده	عن عمله وهذا
في هذا الباب.	والخطرات في دفعها	عن عمله لكن	شرك.
	بالتوكل فلا شيء عليه.	يبقى أثرها وتخوفه	
		منها وتوقعه للشر	
		وهذا لا يسلم من الوقوع	
		في الشرك الأصغر.	

الفأل: هو توقع الخير، وهو عكس الطيرة.

قوله: «وما منا إلا...» أي يتطير، هذا من كلام ابن مسعود؛ لأن الأنبياء معصومون من الشرك كبيره وصغيره وقد نص أئمة الحديث على أنها مدرجة.

فائدة (٣): الطيرة إن كانت في القلب ثم تدفع بالتوكل فهذا لا يُذم صاحبه.

باب: ما جاء في التنجيم

قال البخاري في "صحيحه": قال قتادة: خلق الله هذه النجوم لثلاث: زينة للسماء ورجوماً للشياطين، وعلامات يهتدى بها. فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ، وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به. أ.هـ.

وكره قتادة تعلم منازل القمر، ولم يرخص ابن عيينة فيه، ذكره حرب عنهما، ورخص في تعلم المنازل أحمد وإسحاق.

وعن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن الخمر، وقاطع الرحم، ومصدق بالسحر» رواه أحمد وابن حبان في صحيحه.

الشرح

أقسام التنجيم تقدم في باب شيء من أنواع السحر.

وتعلم منازل القمر فيه خلاف والظاهر أنه يجوز ومن كرهه أراد به كراهة تنزيه لقوله: تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ [سورة يونس: ٥]. وله ٢٨ منزلة.

وعلم التسيير عبارة عن علامات لا أسباباً؛ لأنها قد تحصل وقد لا تحصل، وأما السبب فيحصل به المراد غالباً، وإذا قيل: إنها سبب فقد أذن بها الشرع والله أعلم.



باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء

وقول الله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكْذِبُونَ﴾ [سورة الواقعة: ٨٢].

عن أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أربعة في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركوهن: الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة» وقال: «النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب». رواه مسلم.

ولهما عن زيد بن خالد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: صلى بنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: «هل تدرون ماذا قال ربكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب». ولهما من حديث ابن عباس بمعناه وفيه قال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا، فأنزل الله هذه الآيات: ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ﴾ إلى قوله: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكْذِبُونَ﴾.

الشـرح

الاستسقاء: هو طلب السقي «نزول المطر».

«الأنواء» جمع نوء وهو النجم وقيل: منازل القمر والمراد هنا النجوم.

وقول الله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكْذِبُونَ﴾.

قوله: «رزقكم» أي المطر الذي رزقكم الله.

قوله: «أنكم تكذبون» أي تنسبون المطر لغير الله وهذا تكذيب بالنعمة.

والرزق نوعان:

معنوي

وهو رزق القلوب بالإيمان.

حسي

من مالٍ ومطرٍ وأكلٍ وغيره.

فائدة: المطر إذا جاء في القرآن فالمراد به العذاب إلا في موضع واحد وهو في قوله: تعالى:

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ...﴾ [سورة النساء: ١٠٢]. فالمراد به الغيث الذي هو رحمة.

قوله: وعن أبي مالك الأشعري أن رسول الله قال «أربع من في أمتي من أمور الجاهلية...» الحديث.

قوله: «أربع» هذا لا يفيد الحصر بل هناك غيرها وإنما نص على هذه لكثرة من يقع فيها.

الاستسقاء بالنجوم ثلاثة أنواع:

أن يدعوها مباشرة

أن يعتقد أنها مؤثرة بذاتها

أن يعتقد أنها سبب

وهذا شرك في الربوبية

وهو لا يدعوها وهذا

فهذا شرك أصغر.

حيث جعل للنجم قدرة

شرك في الربوبية وهو كفر.

على التدبير وهذا كفر بالإجماع.

ومن جعلها علامة للمواسم فهو على قسمين:

أن يجعلها علامات ويضيف

أن يجعلها علامات ويضيف

النعمة إلى الله وهذا جائز والله أعلم.

النعمة إليها فهذا كفر أصغر.

باب: قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ الآية

وقوله: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ﴾ إلى قول تعالى: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [سورة التوبة: ٢٤]. الآية.

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين» أخرجاه.

ولهما عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله رُسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار»، وفي رواية: «لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى...» إلى آخره.

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: من أحب في الله، وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله، فإنما تنال ولاية الله بذلك، ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلواته وصومه حتى يكون كذلك. وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يجدي على أهله شيئا. رواه بن جرير، وقال ابن عباس في قوله: تعالى: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ قال: المودة.

الشرح

أراد من هذا الباب أن محبة الله من توحيده، وأن من الناس من يشرك في المحبة بل أساس الشرك هو شرك المحبة. وتقدم تفسير الآية في باب تفسير التوحيد.

أركان العبادة ثلاثة:

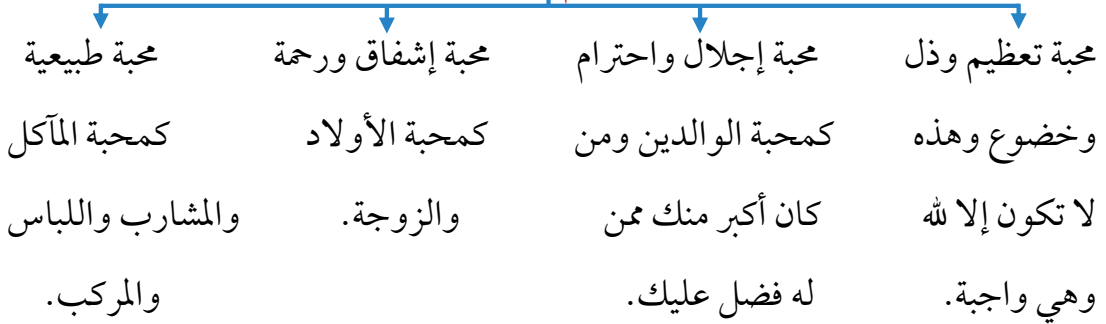


وهي أعظم ركن؛ لأنها

مقصودة لذاتها في الدنيا والآخرة.

وقد مثل بعضهم العبادة بالطائر فالمحبة الرأس والخوف والرجاء الجناحان.

أقسام المحبة:



والثلاثة الأخرى أصلها مباح لذاتها وقد تكون مستحبة وقد تكون واجبة كمحبة الوالدين.

ومن محبة الله أن تحب ما أحب الله ومن يحب الله.

فائدة (١): من أحب غير الله كحب الله أو أشد حتى وقع في الشرك فهو شرك، وإن وقع في الكبائر فهو من الكبائر وهكذا.

فائدة (٢): محبة النبي من محبة الله تعالى فهي محبة واجبة.

فائدة (٣): قسم ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ** المحبة في كتابه «روضة المحبين» إلى ثلاثة أقسام هي:

محبة الله ومحبة لله ومحبة مع الله، وزاد في كتابه «الجواب الكافي» قسماً رابعاً وهو: محبة ما يحب الله، والمنهي عنها المحبة مع الله، وما سواها واجبة.



ضعف في الإيمان يخوفهم بأوليائه.

والمعنى يشمل الكل فأولياء الشيطان يخافون منه وهو يستعملهم في تخويف بعض المؤمنين.

الخوف من الله عبادة ودلالة ذلك من الآية من ثلاثة أوجه:

أن الله أمر به	أن الله نهى أن يصرفه لغيره	أن الله جعله من علامات الإيمان
لقلوله: ﴿وَخَافُونَ﴾.	لقلوله: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾.	الإيمان لقلوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

أقسام الخوف

خوف واجب	خوف مستحب	خوف شرك	خوف طبيعي	خوف بدعة
يكون من الله	ويكون بفعل	كالخوف من	كالخوف من	وهذا فيما إذا
بفعل الأوامر	المستحبات	غير الله فيما	الأشعار والسباع	زاد فيه حتى
وترك النواهي.	وترك المنكرات.	لا يقدر عليه	وهذا جائز ولا	يأس من رحمة
		إلا الله.	يمدح صاحبه.	الله تعالى.

قوله: وقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْزُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ عَاقَبَ بِاللَّهِ...﴾.

فائدة: الخوف الطبيعي ينافي كمال التوحيد المستحب.

حيث صح عن رسول الله ﷺ كما في الصحيح وغيره أنه كان يتعوذ بالله من الجبن، وهو الخوف.

قوله: وقول الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ...﴾.

الفتنة هنا: هي الأذية والبلاء.

الشاهد: ﴿فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ﴾ جعل خوفه من فتنة الناس كالخوف من عذاب الله. ويكون الخوف من غير الله بحسب ما يقع من الشخص بسببه سواء كان شركاً أو معصية.

قوله: وعن أبي سعيد الخدري مرفوعاً «إن من ضعف اليقين...» الحديث.

معناه جميل لكنه لا يصح فيه كذاب وضعيف.

قوله: وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي قال: «من التمس رضا الله بسخط الناس...» الحديث.

روي مرفوعاً وموقوفاً والراجح وقفه على عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وله حكم الرفع.

وهناك أدلة تدل على ذلك لحديث جبريل في الصحيحين «أني أحب فلانا فأحبوه...» الحديث.

وليس معناه السعي في إسقاط الناس، فإذا أَرْضَى الله والناس فهذا أحسن وجميل لما فيه من الصيانة والديانة، فإن تعارضاً قدم رضى الله على من سواه، الله أعلم.



باب: ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

وقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [سورة الأنفال: ٢]. الآية
 وقوله: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الأنفال: ٦٤]. وقوله:
 ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [سورة الطلاق: ٣].

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «حسبنا الله ونعم الوكيل». قالها إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ حين أُلقي في النار، وقالها محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين قالوا له: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [سورة آل عمران: ١٧٣]. رواه البخاري والنسائي.

الشرح

علاقة التوكل بالتوحيد علاقة وطيدة وعلى قدر التوكل في قلب العبد يقوى إيمانه، ومتى ضعف التوكل ضعف الإيمان.

فائدة (١): التوكل عمل قلبي محض وينفرد عن أعمال القلب بأنه لا يكون إلا لله فلا يجوز صرفه لغير الله في أي حال من الأحوال.

تنبيه: لا يقال توكلت على الله وعليك أو ثم عليك؛ لأن التوكل لا يكون إلا على الله.
 التوكل لغةً: هو الاعتماد.

واصطلاحاً: هو صدق اعتماد القلب على الله في جلب المنافع ودفع المضار مع فعل الأسباب المأذون بها شرعاً.

فائدة (٢): التوكل على الأسباب شرك وتركها خلل في التوحيد.

فائدة (٣): ليس في التوكل أقسام؛ لأنه لا يصلح إلا على الله.

الدليل على أن التوكل عبادة من الآيات من وجوه:

الأمر به	علق التوكل بالإيمان	تقديم الجار والمجرور
﴿فَتَوَكَّلْ﴾	﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾	على الفعل ﴿تَوَكَّلْ﴾ يفيد الحصر
		أي: حصر هذه العبادة على الله وحده.

باب: ما جاء في قول الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾

وقوله: ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [سورة الحجر: ٥٦].

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سئل عن الكبائر، فقال: «الشرك بالله، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله».

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «أكبر الكبائر: الإشراك بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله» رواه عبد الرزاق.

الشرح

هذا الباب فيه بيان خطورة الأمن من مكر الله، ولعل المؤلف أراد بهذا الباب الإشارة إلى باب الرجاء.

والرجاء معناه: الطمع والرغبة فيما عند الله من الرحمة والفضل، وهو عبادة من العبادات العظيمة بل هو أحد أركان العبادة. وإذا زاد الرجاء حتى يأمن من مكر الله وعذابه فهو بدعة وكبيرة من الكبائر للآية في الباب.

قال بعض السلف: من عبد الله بالمحبة فقط فهو زنديق، ومن عبد الله بالخوف وحده فهو خارجي، ومن عبد الله بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبد الله بالمحبة والخوف والرجاء فهو مؤمنٌ موحد.

فائدة (١): المحبة تستلزم الخوف والرجاء.

فائدة (٢): الفرق بين اليأس والقنوط:

القنوط أعم من اليأس فالقنوط يكون في الشدة والرخاء، وأما اليأس فلا يكون إلا في الشدة على القول بالفرق، وقيل: هما بمعنى واحد.

مسألة: أيهما يُغلب الخوف أو الرجاء؟

الجواب: قال بعض أهل العلم وهو قول الإمام أحمد وجماعة: لا بد أن يكونا سواء. وقال بعضهم: في حالة الصحة يغلب جانب الخوف، وفي حالة المرض يغلب حالة الرجاء. وقال بعضهم ورجحه ابن القيم: كل امرئ طبيب نفسه؛ وكلٌ يعرف نفسه ماذا يصلح معها، وهذا كلام جميل وهو يجمع الأقوال الأولى.



باب: من الإيمان الصبر على أقدار الله

وقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ [سورة التغابن: ١١].

قال علقمة: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله، فيرضى ويسلم.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت».

ولهما عن ابن مسعود مرفوعاً: «ليس منا من ضرب الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية».

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة» وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضي، ومن سخط فله السخط» حسنه الترمذي.

الشرح

«من»: تبعيضه؛ لأن شعب الإيمان بضْعٌ وسبعون شعبة والصبر واحدةٌ منها.

والصبر لغة: الحبس، يقال قُتِلَ صبراً أي مقيداً «مجبوراً».

واصطلاحاً: هو حبس النفس على طاعة الله وحبسها عن معصية الله، وحبسها على عدم السخط على أقدار الله، وهذه الثلاثة الأمور هي أقسام الصبر.

تنبيه: يقال صبر عن معصية الله ولا يقال على معصية الله؛ لأن «عن» تفيد التجاوز والبعد

وعلى تفيد الزوم.

قوله: «من الإيمان» أي الإيمان الواجب.

الصبر على أقدار الله واجبٌ من واجبات الإيمان ولا يتم الإيمان إلا بذلك؛ لأن الصبر جزءٌ يتجزأ من الإيمان بالقضاء والقدر، والصبر على أقدار الله واجب ولا يقال منه الواجب ومنه المستحب بل هو كله واجب.

حالات بعض من ابتلي ببعض أقدار الله المؤلمة:

الشكر	الرضا مع الصبر	الصبر	عدم الصبر
وهذا أعلى الدرجات	وهو قسمان:	وهذا واجب.	مع التسخط
والشكر باعتبار	الرضا بالمقضي	الرضا بالقضاء	ومنه كفر إذا
ما تؤول إليه من	وهذا مستحب.	وهذا واجب	بلغ به إلى سب
تكفير الذنوب		وقد يكون محرماً	الرب والاعتراض
ورفع الدرجات		إذا كان في الأمور	عليه وما سواه فسق.
وغيرها.		المحرمة التي قدرها الله	
		كوناً وحرماً شرعاً.	

قوله: وقول الله تعالى: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ... ﴾ [سورة التغابن: ١١].

الآية.

قوله: ﴿ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾ أي من يصبر يوفقه الله للهداية.

قوله: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ أي يعلم من صبر من أجل الله أو من أجل غيره.

قوله: وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله قال: «اثنان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب والنياحة على الميت...» الحديث.

والشاهد منه قوله: «والنياحة...»؛ لأن النياحة تنافي الصبر.

«كفر» المراد به هنا الكفر الأصغر وهو من الكبائر، ولا يخرج من الملة بالإجماع.

فائدة (١): قال شيخ الإسلام: إذا جاء «الكفر» بلفظ المعرفة «الكفر» يراد به الكفر الأكبر، وإذا جاء بلفظ النكرة «كفر» المراد به الكفر الأصغر، وهي قاعدة أغلبية.

فائدة (٢): «النياحة على الميت» تنافي الصبر لكن البكاء اليسير لا بأس به فلا ينافي الصبر بل هو مستحب؛ لأن به تحصل عبودية الرحمة.

فائدة (٣): من الخطأ إظهار الفرح والسرور عند المصائب؛ لأن ذلك مخالف لهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فائدة (٤): عند المصائب تجتمع عبادتان: الصبر والرحمة، فالصبر بعدم التسخط والنياحة، والرحمة بدمع العين وحزن القلب.

قوله: ولهما عن ابن مسعود «مرفوعاً»: «ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية».

«ضرب الخدود» هو لطم الوجه.

«دعوى الجاهلية» من النياحة المحرمة.

«شق الجيوب» أي: قطعها الثياب مما يلي الصدر.

قوله: وعن أنس قال: قال رسول الله: «إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة...» الحديث المصيبة من الله فمن صبر عليها يؤجر عليها، والعافية من الله فمن شكرها يؤجر

عليها.

فائدة (٥): كلما كان الابتلاء أعظم كان الأجر أعظم.

قال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد».

باب: ما جاء في الرياء

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ [سورة الكهف: ١١٠]. الآية.

عن أبي هريرة مرفوعاً: «قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه». رواه مسلم.

وعن أبي سعيد مرفوعاً: «ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟» قالوا: بلى يا رسول الله! قال: «الشرك الخفي، يقوم الرجل فيصلي، فيزين صلاته، لما يرى من نظر رجل». رواه أحمد.

الشـرح

قوله: وقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾... الآية.

﴿قُلْ﴾: أي يا محمد ﴿يَرْجُوا﴾ يطمع ﴿لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ أحسن تفسير لها أي رؤية الله. الشاهد: ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ ولا يكون صالحاً إلا إذا كان خالصاً لله، والرياء ينافي الإخلاص.

﴿أَحَدًا﴾ يشمل كل مخلوق، فمن عمل عملاً من أجل الناس فقد أشرك بعبادة ربه.

قوله: وعن أبي هريرة مرفوعاً «قال الله: أنا أغنى الشركاء عن الشرك...» الحديث.

هذا الحديث يتناول الشرك الأكبر والأصغر.

وعند الإمام أحمد زيادة: «وأنا بريء منه» وهو للذي أشرك وهي زيادة صحيحة.

قوله: «أنا أغنى الشركاء» هذه صفة كاشفة ووصف لازم محله لا يدل على التفضيل وليس له مفهوم لأنه لا يوجد لله شريك أصلاً.

فائدة (١): أقسام المرائي:

١- أن يرائي من أول العمل فهذا العمل باطل.

٢- أن يبدأ العمل لله ويعرض له الرياء أثناء العمل وهو قسمان:

أ- أن يدافعه ويستحضر الإخلاص فهذا لا يضر باتفاق بل يمدح على مجاهدته للرياء.

ب- أن يسترسل مع الرياء، وهذا على قسمين:

١- إذا كانت العبادة متصل أولها بآخرها كالصلاة فتبطل.

٢- إذا كانت العبادة مجزأة كالصدقة ومناسك الحج فهذا النوع ما دخله الرياء فسد وما لا فلا يفسد، والله أعلم على خلاف فيما يتعلق بالحج.

قوله: وعن أبي سعيد مرفوعاً: «ألا أخبركم بما هو أخوف عندي من المسيح...» الحديث.

الحديث بهذا الإسناد فيه ضعف، وجاء عن محمود بن لبيد وهو يغني عن هذا فقد أخبر النبي أنه يخاف على أمته من شرك السرائر.

مسألة: لماذا كان الرياء أخوف من المسيح الدجال؟

الجواب: قالوا لأن الرياء أمره خفي والمسيح أمره واضح لكل مؤمن؛ ولأن الرياء مما تعم البلوى به فقل أن يسلم منه أحد.

فائدة (٢): الرياء يكون في العبادات المرئية، وحب السمعة يكون في الأعمال السمعية وكله رياء وهو من شرك أصغر.

باب: من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا

وقول الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَتْهَا نُوفٍ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة هود: ١٥-١٦]. الآيتين.

وفي الصحيح عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميعة، إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش، طوبى لعبداً أخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع».

الشرح

كل شيء يخرج العمل عن كونه لله فالعمل باطل ويكون شركاً أصغر.

مسألة: ما الفرق بين الرياء والعمل من أجل الدنيا؟

الجواب: العمل لأجل الدنيا أعظم خطراً من الرياء؛ لأنه يشمل ما يشمله الرياء وزيادة فهو يطلب بعمله ثناء الناس ودنياهم، والرياء حالة عارضة، ويبتلى العبد به في حالة دون حالة، والعمل من أجل الدنيا يغلب عليه حتى أنه ما يعمل إلا لأجل الدنيا.

العبادة على قسمين:

عبادات رغب الله فيها بالآخرة	عبادة أخروية محضة رغب الله
وذكر فيها منافع دنيوية وأخروية	فيها بالآخرة كالصلاة والصيام
مثل الصدقة، وصلة الرحم فمن	وهذه الأعمال لم يعلق الله عليها
عملها من أجل هذا وهذا فهي جائزة	منافع دنيوية فمن عمل هذه الأعمال
وإن فعلها من أجل الدنيا فقط فهذا	من أجل الدنيا فهي فاسدة مع الإثم.
رياء، فإن قصد بها المنافع الدنيوية	
ونيته لله جاز لكنها نقص في مرتبته.	

قوله: وقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ...﴾ الآية.

أي يعطيهم على قدر نياتهم من كان يريد الثواب في الدنيا فله ذلك.
وقيل: إنها منسوخة بقوله: تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ...﴾ [سورة الإسراء: ١٨]. الآية.
وهذا ليس من مسائل النسخ؛ لأن النسخ يكون في الأحكام لا في الأخبار، والآية من باب الأخبار، ولكن يقال إنها عامة وآية الإسراء مخصصة لها، والله أعلم.

قوله: وفي الصحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله: «تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم...» الحديث.

سمى النبي ﷺ من عمل لأجل الدنيا عبداً لها، وعبودية الإنسان لدنياه تختلف من إنسان إلى آخر قد توصله إلى الكفر أو إلى الشرك أو إلى البدع وقد تكون إلى معصية بحسبها، إما كبيرة وإما صغيرة.

فائدة: الضابط لمعرفة عبد الدينار وعبد الدرهم....:

أنه إذا أُعطي رضي وإذا لم يُعطى سخط فحبه وبغضه وولائه وبرؤه من أجل الدنيا لا من أجل الله.

الخميسة والخميلة نوع من أنواع القماش.

«إذا شيك فلا انتقش» هذا من باب المبالغة في الدعاء عليه لقبيح فعله وعظيم معصيته.



وقال تعالى: ﴿ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة الأنبياء: ٧].

ومما يروى عن بعض السلف **رَحِمَهُ اللَّهُ** قوله: سل العالم عن دليله لا عن رأيه لقوله: تعالى: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ **بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ** ﴿[سورة النحل: ٤٣-٤٤]﴾.

لأن العالم ربما ضل فيضل من معه لأنهم اتبعوه بلا دليل، فيميل بهم كل مرة في فتنة ولا يعلمون إلا ما يقوله لهم، ولو سألوه عن دليله لم استطاع أن يلبس عليهم.

قوله: وقال ابن عباس: يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء...

هذا من حفظ الإمام محمد بن عبد الوهاب وهو بهذا اللفظ لا يثبت، ولكنه ثبت بلفظ مقارب أخرجه ابن عبد البر في الجامع «٢٣٧٨» بلفظ: أراهم سيهلكون أقول: قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، ويقولون قال أبو بكر وعمر.

باب قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾

وقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [سورة البقرة: ١١]. وقوله: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [سورة الأعراف: ٥٦]. الآية. وقوله: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ [سورة المائدة: ٥٠]. الآية.

عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به» قال النووي: حديث صحيح، رويناه في كتاب "الحجة" بإسناد صحيح.

وقال الشعبي: كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة؛ فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمد - لأنه عرف أنه لا يأخذ الرشوة - وقال المنافق: نتحاكم إلى اليهود - لعلمه أنهم يأخذون الرشوة - فاتفقا أن يأتيا كاهناً في جهينة فيتحكما إليه، فنزلت: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾ الآية.

وقيل: نزلت في رجلين اختصما، فقال أحدهما: نترافع إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال الآخر: إلى كعب بن الأشرف، ثم ترافعا إلى عمر، فذكر له أحدهما القصة. فقال للذي لم يرض برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أكذلك؟ قال: نعم، فضربه بالسيف فقتله.

الشرح

عقد المؤلف هذا الباب في بيان وجوب التحاكم إلى شرع الله.

وبيان أن طاعة الأمراء والعلماء في تحريم الحلال وتحليل الحرام قد يؤدي إلى التحاكم إلى أقوالهم وأفعالهم، وترك التحاكم إلى الكتاب والسنة، وهذا شرك في التشريع.

﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ أي يا محمد.

﴿ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ ﴾ إلى هؤلاء الذين يكذبون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك. والمراد بهم المنافقون.

﴿ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ مبتعدين ابتعاداً كثيراً ليس فيه رجعة.

فائدة (١): الخوارج يعتقدون التكفير بالكبيرة حيث جعلوا كل من لم يحكم بما أنزل الله كافراً، والصواب التفصيل.

مسألة: ما حكم من حكم بغير ما أنزل الله؟

الجواب: قد نوع الله الحكم عليه في كتابه وهذا دليل على أن المسألة فيها تفصيل فالحكم بغير ما أنزل الله إما أن يكون كفراً وإما فسقاً وإما ظلماً.

حالات من حكم بغير ما أنزل الله:

أن ينكر	أن يستحل الحكم	أن يفضل حكم	أن يعتقد أن	أن يعتقد
ما أنزل الله	بغير ما أنزل الله	غير الله على حكم	حكم الله	أن حكمه
وهذا كفر؛	وهذا كفر أيضاً.	الله وهذا كفر.	لا يصلح	وحكم الله
لأنه سيؤدي			لهذا الزمان.	سواء وهذا
إلى إنكار القرآن				كفر.
والسنة.				

* «وما سوى هذه الحالات فصاحبه دائر بين الظلم والفسق».

فائدة (٢): من حكم بغير ما أنزل الله وهو يعلم أن حكم الله هو الأكمل والأفضل وإنما فعل ذلك تبعاً لهواه أو لمصلحة ونحوها فهذا فسق أو ظلم لا يخرج به من الإسلام.

فائدة (٣): من لم يكفر الكافر فهو كافر هذه قاعدة صحيحة، والمراد بها الكافر المتفق على كفره كاليهود والنصارى ونحوهم، وأما الكافر المختلف في كفره فلا يدخل في هذه القاعدة.

قوله: وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا...﴾ الآية.

أنواع الإفساد:

إفساد للأديان

كالحكم بغير ما أنزل الله
والقول على الله بغير علم.

إفساد للأبدان

مثل القتل والضرب لأهل الإسلام.

قوله: وقوله تعالى: ﴿أَفْحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ...﴾ الآية.

استفهام إنكاري، يفيد إبطال حكم الجاهلية

قوله: عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به» إلخ.

هذا لا يصح عن النبي ومعناه صحيح وقد ذكر ابن رجب في جامع العلوم له ثلاث علل، لكن معناه صحيح

* علاقة هذا الباب بالباب الذي قبله:

١ - الباب الأول خاص، وهذا عام.

٢- الأول في تحليل الحرام وتحريم الحلال، والثاني في كل من تحاكم إلى غير شرع الله

٣- الأول في العلماء والأمراء خاصة، وهذا في العلماء والأمراء ومن كان دونهم.

* وعلاقتها بالتوحيد أن المتحاكم إلى غير شرع الله يقع في شرك التشريع، والتشريع متعلق بتوحيد الربوبية والله تعالى يقول منكراً على أهل الشرك: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ﴾ [سورة الشورى: ٢١].

صحيح صالح للدلالة.

* من كَذَّبَ بشيء من كلام الله كفر بالإجماع، ومن كذب بشيء من السنة المتفق على صحتها بغير شبهة كفر. وإنكار التأويل لا يكفر صاحبه إن كان بسبب شبهة، لأن التأويل من موانع التكفير.

فائدة (١): كل اسم من أسماء الله يتضمن صفة لله، وأسماء الله مشتقة؛ أي متضمنة لصفات كاملة، مثلاً اسم الرحيم يتضمن صفة الرحمة، والكريم يتضمن صفة الكرم وهكذا. توحيد الأسماء والصفات: هو إفراد الله بما سمي به نفسه أو سماه به رسوله، وإفراد الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير زيادة ولا نقصان.

فائدة (٢): الزيادة والنقصان في أسماء الله إلحاد في أسمائه وهو المراد بقوله تعالى: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ...﴾ [سورة الأعراف: ١٨٠]. الآية.

قوله: وقول الله تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي...﴾ الآية.

دلت هذه الآية أن كفار قريش ينكرون اسم الرحمن وهذا من الإلحاد في أسمائه.

فائدة (٣): من جحد شيئاً من أسماء الله أو صفاته ففيه صفة من صفات المشركين.

فائدة (٤): قال علي بن أبي طالب: «حدثوا الناس بما يعرفون أتريدون أن يكذب الله ورسوله» رواه البخاري. وهذا شامل لكل شيء من أمور الدين والله أعلم.

وذكره المؤلف لأن من جملة ما تحدث به هذا يعني من أسماء الله وصفاته فهي لا يفهمها كل إنسان، فربما حدثت إنساناً بشيء أكبر من عقله فيزل وينحرف وتدخله الشكوك.

قوله: وروى عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاووس عن أبيه عن ابن عباس... إلخ.

هذا الأثر صحيح عن ابن عباس. وأسماء الله محكمة والمحكم هو الواضح.

والمتشابه ما اشتبه على بعض الناس فهو تشابه نسبي؛ أي بالنسبة لبعض الناس دون بعض.

فلا يوجد شيء في القرآن ولا السنة لا يعلمه أحد لكن يعلمه أناس ويجهله آخرون؛ لأن الله أمر بتدبر القرآن ولا يمكن تدبره إلا إذا كان له معانٍ مفهومة والله أعلم.



باب: قول الله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾

قال مجاهد ما معناه: هو قول الرجل: هذا مالي، ورثته عن آبائي. وقال عون بن عبد الله: يقولون: لولا فلان لم يكن كذا. وقال ابن قتيبة: يقولون: هذا بشفاعة آلهتنا.

وقال أبو العباس بعد حديث زيد بن خالد الذي فيه: «إن الله تعالى قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر...» الحديث، وقد تقدم - وهذا كثير في الكتاب والسنة، يذم سبحانه من يضيف إنعامه إلى غيره، ويشرك به.

قال بعض السلف: هو كقوله: كانت الريح طيبة، والملاح حاذقاً، ونحو ذلك مما هو جارٍ على ألسنة كثير.

الشرح

﴿يُنْكِرُونَهَا﴾ أي: بإضافتها إلى غير الله.

إضافة النعم إلى غير الله على أقسام:

كفر أكبر	أن يضيفها إلى غير الله	من باب الخبر المحض
وذلك إذا أضافها	تسبباً فهذا جائز بشرط	فهذا جائز كمن يقول
لغير الله استقلالاً	أن يضيفها إلى الله أولاً	أعطاني فلان كذا مع أن
أو مشاركة	ثم إلى السبب.	المعطي في الحقيقة هو الله.
أو معاونة.		

«لو»: فيها شرط لا يصلح فيها الخبر؛ لأنه لا يقال له خير محض؛ لأنها من أنواع الطلب فلا يقال: «لو» إلا في باب الخبر فلا يجوز إضافة النعمة مقترنة بـ «لو» إلى غير الله ابتداءً وإنما يقال: لو لا الله ثم كذا وكذا.



باب: قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

قال ابن عباس في الآية: «الأنداد: هو الشرك أخفى من ديب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل؛ وهو أن تقول: والله، وحياتك يا فلان وحياتي، وتقول: لولا كلبية هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتانا اللصوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان. لا تجعل فيها فلاناً هذا كله به شرك» رواه ابن أبي حاتم.

وعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك» رواه الترمذي وحسنه، وصححه الحاكم.

وقال ابن مسعود: لأن أحلف بالله كاذباً أحب إليّ من أن أحلف بغيره صادقاً.

وعن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان» رواه أبو داود بسند صحيح.

وجاء عن إبراهيم النخعي، أنه يكره أن يقول: أعوذ بالله وبك، ويجوز أن يقول: بالله ثم بك. قال: ويقول: لولا الله ثم فلان، ولا تقولوا: لولا الله وفلان.

الشــــــــــــــــرح

هذا الباب مقارب للذي قبله إلا أن الأول فيه إسناد النعمة لغير الله، وهذا أعم منه.

قوله: وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ في كل شيء من أنواع التوحيد الثلاثة.

أنواع الحلف بغير الله:

أن يعظم المخلوق	أن يقصد تعظيم المخلوق	ألا يقصد به تعظيم المخلوق
كتعظيمه لله أو	لكن أقل من تعظيمه لله	بل هو شيء جرى على لسانه
أشد وهذا شرك	فهذا شرك أصغر.	فهذا شرك أصغر لفظي
أكبر.		وكفارته قول «لا إله إلا الله».

وأثر ابن عباس فيه كلام ومعناه صحيح وهو بحسبه أصغر أو أكبر.

* أثر ابن عباس مختلف فيه والأقرب صحته، وقد صح بمعناه عن ابن عمر.

باب: ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله

عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « لا تحلفوا بأبائكم، من حلف بالله فليصدق، ومن حلف له بالله فليرض. ومن لم يرض فليس من الله »، رواه ابن ماجه بسند حسن.

الشرح

الحلف بالله على قسمين:

أن يكون كاذباً

من العلماء من قال يجب تصديقه لأنه قد حلف بالله.

أن يكون صادقاً

وهذا يجب تصديقه.

وبعض أهل العلم فصل على ما يلي:

أن يتشكك

فوجب التصديق لتساوي الأمران.

أن يغلب الظن أنه كاذب

فلا يجب تصديقه على الصحيح.

أن يعلم يقيناً أنه كاذب

فلا يجب تصديقه ولا يجب الرضى بيمينه لأن الله لا يعظم بالكذب.

باب: ما جاء في قول: ما شاء الله وشئت

عن قتيبة، أن يهودياً أتى النبي ﷺ فقال: إنكم تشركون، تقولون ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة، فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: «ورب الكعبة، وأن يقولوا: ما شاء ثم شئت» رواه النسائي وصححه.

وله أيضاً عن ابن عباس رضى الله عنهما: أن رجلاً قال للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت، فقال: «أجعلني لله نداً؟ ما شاء الله وحده».

ولابن ماجه عن الطفيل أخي عائشة لأمها قال: رأيت كأني أتيت على نفر من اليهود، فقلت: إنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: عزير ابن الله. قالوا: وإنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد. ثم مررت بنفر من النصارى فقلت: إنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: المسيح ابن الله، قالوا: وإنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد. فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت، ثم أتيت النبي ﷺ فأخبرته. قال: «هل أخبرت بها أحداً؟» قلت: نعم. قال: فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أما بعد؛ فإن طفيلاً رأى رؤيا، أخبر بها من أخبر منكم، وإنكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها. فلا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا: ما شاء الله وحده».

الشرح

هذا الكلمة يتعلق بها حكمان:

- | | |
|----------------------------------|--|
| إذا اعتقد أن غير الله يشارك الله | وإذا اعتقد أن مشيئة غير الله تابعة لمشيئة الله |
| في المشيئة فهو شرك أكبر. | فهو شرك أصغر لفظي يترتب عليه إثم على الصحيح. |

فائدة: كون النبي قَبْلَ من اليهود هذا يدل على أن الشخص يقبل الحق ممن جاء به.

وفيه أن هذا شرك ولم ينه عنه النبي؛ لأنه قد يقع في نفسه لكن لم يذكره حتى يوحى إليه.

خلاصة ذلك: أن المشيئة تابعة لله وحده فمشيئة خلقه تابعة لمشيئته وهو رد على الجبرية الذين يقولون إن العبد مجبور على العمل وليس له مشيئة ولا إرادة بل هو كورقة في شجرة يحركها الريح يمنة ويسرة. وقد كذبهم الله تعالى بقوله: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [سورة الإنسان: ٣٠].



باب ما جاء في سب الدهر

وقول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [سورة الجاثية: ٢٤]. الآية.

في الصحيح عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «قال الله تعالى: يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر، وأنا الدهر، أقلب الليل والنهار» وفي رواية: «لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر».

الشرح

سب الدهر على أقسام:

إذا سب الدهر	أن يسب الدهر	أن يسب الدهر	أن يكون سب الدهر
على أنه هو الله	على أنه من مخلوقات	تسخطاً على أقدار	من باب الإخبار
فهذا كفر.	الله ولكن يعتقد أنه	الله فهذا من الكبائر.	فهذا جائز لقوله تعالى:
	يؤثر بنفسه فهذا		﴿هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾.
	شرك أكبر.		

مسألة: هل الدهر من أسماء الله؟

الجواب: جمهور العلماء على أنه ليس من أسماء الله وأما قوله: «وأنا الدهر» فالمراد به أنا

خالق الدهر دل على هذا التأويل رواية مسلم «وأنا الدهر أقلب الليل والنهار».

فلا يكون المقلب هو المقلب؛ لأن الدهر هو مرور الأيام والليالي قال تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا...﴾ الآية. والله سبحانه ليس هو الليل والنهار.

فائدة: ابن حزم عد الدهر من أسماء الله ولم يوافقه على ذلك أحد من السلف.



باب: التسمي بقاضي القضاة ونحوه

في الصحيح عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن أخنع اسم عند الله: رجل تسمى ملك الأملاك، لا مالك إلا الله».

قال سفيان: مثل «شاهان شاه». وفي رواية: «أغبط رجل على الله يوم القيامة وأخبثه». قوله: «أخنع» يعني أوضع.

الشرح

وفي الصحيح عن أبي هريرة عن النبي قال: «إن أخنع اسم عند الله رجل تسمى ملك الأملاك لا مالك إلا الله...» الآية.

«شاه شاه» باللغة الفارسية ومعناه: ملك الأملاك.

هذا الباب علاقته بالتوحيد من حيث الأسماء والصفات، حيث أن تسمية المخلوق بهذا الاسم مشاركة لله في بعض خصائصه وهذا من الشرك.

ومن تمام التوحيد كمال توحيد الأسماء والصفات.

«ملك الملوك» من أسماء الله الخاصة.

فائدة: كل اسم يدل على الكمال المطلق فهو خاصٌّ بالله.

«قضي القضاة» ليس من أسماء الله لكنه يدل على صفة الكمال المطلق والكمال المطلق لا يكون إلا لله.

مسألة: ما حكم التسمي بهذه الأسماء؟

التسمي بها على قسمين:

التسمي بها مقيداً ببلد أو بعض البلدان

فهذا جائز كملك ملوك المسلمين؛

لأن هذا التقييد يخرجها عن المضاهاة لله

وتركه أولى سواء كان باللغة العربية أو غيرها.

التسمي بها مطلقاً

دون تقييد كملك الملوك

فهذا لا يجوز لما تقدم.

والنهي في هذا الحديث للتحريم لقوله: «أخنع» أي أخس وأقبح وأوضع.



باب: احترام أسماء الله تعالى وتغيير الاسم لذلك

عن أبي شريح: أنه كان يكنى أبا الحكم؛ فقال له النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إن الله هو الحكم، وإليه الحكم» فقال: إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني، فحكمت بينهم، فرضي كلا الفريقين فقال: «ما أحسن هذا فمالك من الولد؟» قلت: شريح، ومسلم، وعبد الله. قال: «فمن أكبرهم؟» قلت: شريح، قال: «فأنت أبو شريح»، رواه أبو داود وغيره.

الشرح

قوله: عن أبي شريح أنه كان يُكنى أبا الحكم فقال له النبي: «إن الله هو الحكم وإليه الحكم...» الحديث.

هذا من توحيد الأسماء والصفات فلا يسمى الناس بأسماء الله الخاصة ومن تسمى بها فهذا خلل في التوحيد ويخشى عليه من الوقوع في الشرك ولا بالأسماء المشتركة إذا قصد بها كمال الصفة.

فائدة (١): الأولى أن يتكنى الشخص بأكثر أولاده لحديث الباب.

فائدة (٢): كل شيء يؤهم خطأ فالواجب تركه سدا للذرائع.

فائدة (٣): الصحيح جواز التسمي بالحكم إذا كان مجرد علم لا يراد به الصفة.

فائدة (٤): يجري في الصفات التقسيم الذي تقدم في الأسماء فلا يجوز أن نصف المخلوق بالصفات الخاصة بالله ويجوز وصفه بالصفات المشتركة بشرط ألا يُقصد بها كمال الصفة.



باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول

وقول الله تعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [سورة التوبة: ٦٥]. الآية.

عن ابن عمر، ومحمد بن كعب، وزيد بن أسلم، وقتادة - دخل حديث بعضهم في بعض - أنه قال رجل في غزوة تبوك: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء، أرغب بطونا، ولا أكذب ألسنا، ولا أجبن عند اللقاء - يعني رسول الله ﷺ وأصحابه القراء - فقال له عوف بن مالك: كذبت، ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله ﷺ. فذهب عوف إلى رسول الله ﷺ ليخبره فوجد القرآن قد سبقه. فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله ﷺ وقد ارتحل وركب ناقته، فقال: يا رسول الله! إنما كنا نخوض ونحدث حديث الركب، نقطع به عنا الطريق. فقال ابن عمر: كأني أنظر إليه متعلقاً بنسعة ناقة رسول الله ﷺ، وإن الحجارة تنكب رجله - وهو يقول: إنما كنا نخوض ونلعب - فيقول له رسول الله ﷺ: ﴿أَبِاللَّهِ وَعَآيَتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ ما يتلفت إليه وما يزيده عليه.

الشرح

الهزل: بمعنى اللعب والسخرية والاستهزاء.

* غزوة تبوك كانت في السنة التاسعة للهجرة وهي آخر غزوة غزاها النبي.

«قرائنا» أي قراء الصحابة.

«أرغب بطونا» أي أكثر الناس أكلاً.

«نسعة الناقة» أي حبل الناقة.

فيه أن النبي لم يكن كثير الجدال حيث أنه لم يقل شيئاً غير الآية.

فائدة: من سب الله ورسوله والقرآن كفر وحكمه القتل ردة، فإن تاب فللعلماء تفصيل وأحسن ما قيل: إنه تقبل توبته ولنا منه ما ظهر هذا في حق الله وحق القرآن، وأما في حق رسول الله فيقتل ولو تاب.

وآيات الله.

آيات الله على قسمين:

آيات شرعية

وهي القرآن والسنة.

أن يستهزئ بالله
أو رسوله أو القرآن
مباشر
كلاستهزاء
بمن يحمل الدين
كالعلماء والدعاة
والصالحين فهذا

آيات كونية

وهي مخلوقات الله التي تدل على عظمته.

إن قصد بالاستهزاء
وإن قصد بالاستهزاء
بها الاعتراض على
بها مجرد المزاح واللهو
مع تعظيمه للمخلوق
الخالق فهذا كفر.
فهذا من الكبائر
لعموم الأدلة في
النهي عن السخرية

والاستهزاء.

على قسمين:

أن يستهزئ بهم ومراده الاستهزاء بما يحملونه من الدين
أن يستهزئ بذواتهم فقط
فهذا كفر وهو عمل المنافقين وهو سبب نزول قوله:
﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَعَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾.
الاستهزاء بمخلوقات الله.

الاستهزاء بالنبي على قسمين:

- | | |
|---|---|
| <p>↓</p> <p>بعد موته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ</p> <p>القتل ردةً، فإن تاب فحقه إقامة الحد؛
والحد في هذا الأمر القتل.</p> | <p>↓</p> <p>قبل موت رسول الله «في حياته»
فهذا يرجع إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه.</p> |
|---|---|

باب ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَنُؤْذِقَنَّهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسْتَه لِيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾ الآية.

قال مجاهد: هذا بعلمي وأنا محقوق به. وقال ابن عباس: يريد من عندي.

وقوله: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [سورة القصص: ٧٨]. قال قتادة: على علم مني بوجوه المكاسب. وقال آخرون: على علم من الله أني له أهل. وهذا معنى قول مجاهد: أوتيته على شرف.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سمع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إن ثلاثة من بني إسرائيل: أبرص، وأقرع، وأعمى. فأراد الله أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكاً، فأتى الأبرص، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن، وجلد حسن، ويذهب عني الذي قد قدرني الناس به قال: فمسحه، فذهب عنه قدره، وأعطني لوناً حسناً وجلداً حسناً، قال: فأني المال أحب إليك؟ قال: الإبل أو البقر - شك إسحاق - فأعطني ناقة عشاء، وقال: بارك الله لك فيها. قال: فأتى الأقرع، فقال أي شيء أحب إليك قال: شعر حسن، ويذهب عني الذي قد قدرني الناس به فمسحه، فذهب عنه، وأعطني شعراً حسناً، فقال: أي المال أحب إليك؟ قال: البقر، أو الإبل، فأعطني بقرة حاملاً، قال: بارك الله لك فيها. فأتى الأعمى، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: أن يرد الله إلي بصري؛ فأبصر به الناس، فمسحه، فرد الله إليه بصره، قال: فأني المال أحب إليك؟ قال: الغنم، فأعطني شاة والداً؛ فأنج هذا وولد هذا، فكان لهذا وادٍ من الإبل، ولهذا وادٍ من البقر، ولهذا وادٍ من الغنم، قال: ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته. فقال: رجل مسكين، قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن، والجلد الحسن، والمال، بغيراً أتبلغ به في سفري، فقال: الحقوق كثيرة. فقال له: كأني أعرفك، ألم تكن أبرص يقذرك الناس، فقيراً، فأعطاك الله عز

وجل المال؟ فقال: إنما ورثت هذا المال كابرًا عن كابر، فقال: إن كنت كاذبًا فصيرك الله إلى ما كنت. قال: وأتى الأقرع في صورته، فقال له مثل ما قال لهذا، وردّ عليه مثل ما ردّ عليه هذا، فقال: إن كنت كاذبًا فصيرك الله إلى ما كنت. وأتى الأعمى في صورته، فقال: رجل مسكين وابن سبيل، قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك. أسألك بالذي ردّ عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري، فقال: كنت أعمى فردّ الله إليّ بصري، فخذ ما شئت ودع ما شئت، فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله. فقال: أمسك مالك، فإنما ابتليتكم فقد رضي الله عنك، وسخط على صاحبيك» أخرجاه.

الشــــــــــــــــرح

تقدم نظير هذا الباب في قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا...﴾ [سورة النحل: ٨٣].

وآية هذا الباب في حق الكافر؛ لأنه قال وما أظن الساعة قائمة.

فائدة: من أضاف النعمة لغير الله قد يعاقب بنزعها، بل تبدل النعمة نقمة كما قال تعالى عن قوم سبأ ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ ءَايَةٌ﴾ [سورة سبأ: ١٥].



باب قول الله تعالى: ﴿فلما آتاها صالحا جعلنا له شركاء فيما آتاها فتعالى عما يشركون﴾ الآية.

قال ابن حزم: اتفقوا على تحريم كل اسم معبد لغير الله؛ كعبد عمرو، وعبد الكعبة، وما أشبه ذلك، حاشا عبد المطلب.

وعن ابن عباس رضي الله عنه في الآية قال: لما تغشاها آدم حملت، فأتاها إبليس فقال: إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة لتطيعاني أو لأجعلن له قرني أيل، فيخرج من بطنك فيشقه، ولأفعلن ولأفعلن - يخوفهما - سمياه عبد الحارث، فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتاً، ثم حملت، فأتاها، فقال مثل قوله، فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتاً، ثم حملت، فأتاها، فذكر لهما فأدركهما حب الولد، فسمياه عبد الحارث فذلك قوله تعالى: ﴿جَعَلْنَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَيْنَاهُمَا﴾ رواه ابن أبي حاتم.

وله بسند صحيح عن قتادة قال: شركاء في طاعته، ولم يكن في عبادته. وله بسند صحيح عن مجاهد في قوله: «لئن آتينا صالحاً» قال: أشفقا ألا يكون إنساناً، وذكر معناه عن الحسن وسعيد وغيرهما.

الشرح

هذا الباب فيه إضافة الاسم لغير الله؛ أي التعبد لغير الله.

وبالباب السابق إضافة النعم لغير الله وهذا يناقض كمال التوحيد وقد يناقض أصل التوحيد.

حكم إضافة الاسم لغير الله

إذا أضاف الاسم لغير الله

مع تجرده عن الاعتقاد أنه

كالمضاف إليه فهذا شرك أصغر

لأنه يناقض كمال التوحيد.

إذا أضاف الاسم لغير الله

مع اعتقاده أنه معظم كالمضاف

إليه فهذا شرك أكبر.

فائدة: نقل ابن حزم الإجماع على تحريم هذه الأسماء أي: المعبدة لغير الله.**تنبيه:** عبد المطلب مختلف فيه وأكثر أهل العلم أنه خاص بجدة النبي على أنه لقب لا اسم وقيل: إنه من باب الإخبار والأولى ترك ذلك.**«جعلاً له شركاء»** قال بعض أهل العلم: بتعبيده لغير الله، وقيل: إن إبليس اسمه الحارث ولا يصح سنداً ولا متناً.*** قصة ابن عباس** لم تثبت لا سنداً ولا متناً؛ لأن الأنبياء معصومون عن الشرك والكبائر قبل النبوة وبعدها وآدم أول الأنبياء، وانظر القول المفيد شرح كتاب التوحيد للعثيمين.

الشرك نوعان:

شرك طاعة

وهذا بحسبه قد يكون شركاً

أكبر أو أصغر أو معصية

وهو طاعة غير الله في الأمر والنهي.

شرك عبادة

هذا هو الشرك المعروف عند الإطلاق

ويكون شركاً أكبر وأصغر كما تقدم.

«الإلحاد» لغةً الميل، واصطلاحاً: هو الميل بها عما يجب فيها.

أنواع الإلحاد في أسماء الله تعالى:

إنكارها	إنكار	تسمية الله	أن يشتق من	تسمية بعض
أو إنكار شيئاً	ما دلت عليه	بما لم يسمى به	أسماء الله	الناس بأسماء
منها كما فعلت	من صفات كما	نفسه سبحانه	أسماء للأصنام	الله الخاصة
الجهمية.	فعلت المعتزلة.	كما فعلت	كما سُمي اللات	كالقدوس
		الفلاسفة	من الإله والعزى	والرحمن.
		والصوفية.	من العزيز كما فعل	
			المشركون.	

﴿ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ هذا تهديدٌ لهم بالعقوبة.

والإلحاد في أسماء الله بحسبه قد يكون شركاً وقد يكون بدعة وقد يكون معصية.

باب لا يقال: السلام على الله

في الصحيح عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا إذا كنا مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الصلاة قلنا: السلام على الله من عباده، السلام على فلان، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تقولوا السلام على الله، فإن الله هو السلام».

الشرح

السلام اسم من أسماء الله، قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ...﴾ [سورة الحشر: ٢٣]. الآية.

السلام معناه: السالم والمبرأ من العيوب والنقص، ولم يُذكر في القرآن إلا في آخر سورة الحشر.

مسألة (١): ما الحكمة من النهي عن قول «السلام على الله»؟

الجواب: الحكمة من النهي والله أعلم أمور:

أولاً: أن هذا يوهم نقص في حق الله؛ لأنك تطلب له السلامة، والسلامة إنما تطلب لمن يصيبه النقص والله منزّه عن النقص لعموم كماله.

ثانياً: لأن الله هو السلام فهو يدعى ولا يدعى له.

مسألة (٢): هل النهي للتحريم أو الكراهة؟

الجواب: الذي عليه عامة أهل العلم أنه للتحريم؛ لأن فيه خلل في التوحيد، وأي نهى فيه خلل بالتوحيد يكون النهي فيه للتحريم وكذلك الذي يتضمن نقصاً لله فهو للتحريم.

فائدة: يجوز الدعاء للملائكة بالسلامة.

مسألة (٣): ما معنى قول المؤمن لأخيه السلام عليكم؟

الجواب: أي حلت بركة الله السلام عليك وسلمك الله من كل آفة وشر.



باب: قول: اللهم اغفر لي إن شئت

في الصحيح عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لا يقل أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، ليعزم المسألة، فإن الله لا مكروه له». ولمسلم: «وليعظم الرغبة، فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه».

الشرح

علاقة هذا الباب بالتوحيد أنه يناقض كمال التوحيد.
من فقه المؤلف أنه لم يقل: لا يقال، بل قال: قول لأن المسألة فيها خلاف.
ليعزم المسألة: أي يعتقد جازماً أن الله لا يُعجزه شيء.

وقول «إن شئت» فيه تردد وهذا لا يجوز في حق الله لأمرين:

الأول: لأن الله لا يُعجزه شيئاً
بحيث يفعل أو قد لا يفعل
بل هو على كل شيء قدير.

والثاني: وأن الله لا يتعاظمه شيء
وهذا قد يُشعر أن العبد مستغني عن الله.

ليُعظم الرغبة: بحيث يعتقد أنه إن سأل الله فإن الله قادر لا يعجزه شيء.

مسألة: ما حكم قول إن شاء الله في الدعاء؟

الجواب: فيه خلاف قيل: للكراهة وقيل: للتحريم وهو الصحيح.

فائدة: كل ما كان من الدعاء لا يقال فيه إن شاء الله كجزاك الله خير وبارك الله فيك ونحو ذلك.



باب لا يقال عبدي وأمتي

في الصحيح عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لا يقل أحدكم: أطعم ربك، وضئ ربك، وليقل: سيدي ومولاي، ولا يقل: عبدي وأمتي، وليقل: فتاي وفتاتي، وغلامي».

الشرح

لما كان زمن وجود العبيد والإماء، كان السيد يقول لمملوكه: عبدي، ولجاريته: أمتي، ويقال للسيد: ربي.

مسألة: لماذا أعطاهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلمات بديلة؟

الجواب: لحاجتهم إليها عند النداء، والأصل أنه لا يشترط أنه كلما حرم الشرع شيئاً أن يقال: ما البديل؟ فهذا كلام أهل الهوى والبدع، والمسلم يقول سمعنا وأطعنا، فيمثل وُجْدَ البديل أم لا.

فائدة: النهي قيل: للتحريم وقيل: للكرهية لوجود الصارف عن التحريم وهو قوله: «حتى يجدها ربها»، وقول الله ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ...﴾ [سورة النور: ٣٢]. الآية.

فالنهي هنا للكرهية على الصحيح وفي بعض الحالات قد يكون محرماً، إذا كان يوهم من اللفظ المشاركة لله في الصفات فهو محرم.

* كلمة الرب الأصل أنها تطلق على الله وقد تطلق على غير الله بشرط:

الشرط الأول: أن تكون بدون الألف واللام.

- الشرط الثاني: أن تكون مضافة إلى شيء ممكن فلا يقال رب الأرض.
- الشرط الثالث: ألا يقصد بها عموم الصفة وإنما يقصد بها الملكية فقط.



باب: لا يرد من سأل بالله

عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من استعاذ بالله فأعيزوه، ومن سأل بالله فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه». رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح.

الشرح

قوله: وعن ابن عمر قال: قال رسول الله «من سأل بالله فأعطوه، ومن استعان بالله فأعيزه...» الحديث.

صورة السؤال بالله: أن يقول قائل: أسألك بالله أن تفعل أو لا تفعل.

وعلاقته بالتوحيد أنه سألك بعظيم ومن كمال التوحيد أن تعظم من سألك به لا ترده.

مسألة: هل يجب إعطاء كل من سأل بالله؟

الجواب: قيل: الأمر مطلق فيلزم أن تعطيه إذا كنت تقدر، وقيل: الأمر على الإباحة وقيل: واجب وقيل: مستحب وقيل: محرم.

أما الواجب فإذا سأل أمراً مباحاً وأنت تقدر عليه ولا يلحقك منه ضرر ولا مشقة، ولا يكون فيه إفساد للسلال، فإذا لم تتوفر هذا الأمور فالأمر بين الاستحباب والتحريم فإذا سألك محرماً فهو محرم وما عدا ذلك فهو مستحب.

* إجابة الدعوة مستحبة إلا في طعام الوليمة فواجبة على الصحيح.

شروط إجابة الدعوة:

- ١- ألا يكون من يدعوك ممن يجب هجره.
 - ٢- ألا يكون في الوليمة منكراً لا تستطيع تغييره.
 - ٣- ألا يحصل في الإجابة ضرر ومشقة على الداعي أو المدعو.
- قوله:** «فكافئوه» الأمر هنا للوجوب وهذا من صفات الكرماء، ومن لم يستطع المكافئة الحسية فيكافئ بالدعاء.
- قوله:** «حتى تروا أنكم كافأتموه» أي يُكثر له من الدعاء حتى يرى أنه قد كافأه على المعروف.
- والمراد بالباب أن تعظيم الله في هذه الأمور من كمال التوحيد.



باب: ما جاء في «لو»

وقول الله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾ [سورة آل عمران: ١٥٤]. وقوله: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾ [سورة آل عمران: ١٦٨]. الآية.

في الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «أحرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجزن، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت لكان كذا وكذا؛ ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان».

الشرح

أراد بالباب بيان حكم قول: لو.

قوله: وقول الله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾ وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا...﴾ الذين قال ذلك هم المنافقون والآية نزلت بعد غزوة أحد.

قوله: وفي الصحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله: «أحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز...» الحديث. لا تعجز عن فعل الخير؛ لأنك لو عجزت عن شيء ما فهناك شيء آخر من العبادات أسهل منه يمكنك فعله.

قولك لو كان كذا وكذا: فيه معارضة للقدر من جهة وسوء أدب مع الله من جهة أخرى، وكأنك أعلم من الله بما هو أصلح.

حكم قول لو: فيه تفصيل:

قوله	معتزلاً	يرر لنفسيه	من باب	للتأسف	من باب
اعتراضاً	على قضاء	فعل المعصية	التمني لأمر	على فوات	الإخبار
على الشرع	الله وقدره	ويعتذر بها	مستقبلية فالحكم	طاعة يجوز	فهذا
فهذا محرم	وهذا محرم	على فعل	بحسبه إذا تمنى	«لو استقبلت	جائز
وقد يصل	وهو من	المعصية	الخير جاز وإذا	من أمري...»	كقولك
إلى الكفر.	الكبائر.	وهذا محرم.	تمنى الشر لا يجوز.	لو تفعل كذا.	
هذه تتعلق بالماضي.			هذه تتعلق بالمستقبل.		

فائدة: بوب البخاري باب ما يجوز من قول «لو» وسرد بعض الأحاديث التي تدل على ما يجوز من ذلك.

«أحرص على ما ينفعك»: من الأمور الدينية والدنيوية.



باب: النهي عن سب الرياح

عن أبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لا تسبوا الرياح، فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا: اللهم إنا نسألك من خير هذه الرياح، وخير ما فيها، وخير ما أمرت به، ونعوذ بك من شر هذه الرياح، وشر ما فيها، وشر ما أمرت به» صححه الترمذي.

الشرح

قوله: عن أبي بن كعب قال: «لا تسبوا الرياح...» الحديث، والحديث صحيح.

الرياح: هي الهواء اللطيف الذي جعله الله يسري بين السماء والأرض.

سب الرياح يقدر في التوحيد؛ لأنها تجري بأمر الله تعالى وسبها فيه اعتراض على خالقها ومن أرسلها وهي مأمورة.

سب الرياح فيه تفصيل كتفصيل سب الدهر:

إذا اعتقد أنها الله	إذا اعتقد أنها من	أن يسبها تسخطاً	أن يذم ما حصل
كفر.	مخلوقات الله ولكن	على أقدار الله فهو	بسببها من باب
لها تأثير بنفسها	من الكبائر.	الإخبار فهو جائز	ولا يسمى سباً.
فشرك أكبر.			

* الرياح يرسلها الله بالرحمة وقد يرسلها بالعذاب.

فائدة: كل ما ورد في القرآن بلفظ «رياح» فهي عذاب وما جاء بلفظ «رياح» فهي رحمة.

باب: قول الله تعالى: ﴿يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء قل إن الأمر كله لله﴾ الآية. وقوله: {الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء} الآية

قال ابن القيم في الآية الأولى: فسّر هذا الظن بأنه سبحانه لا ينصر رسوله، وأن أمره سيضمحل، وفسر بظنهم أن ما أصابهم لم يكن بقدر الله وحكمته، ففسر بإنكار الحكمة، وإنكار القدر، وإنكار أن يتم أمر رسوله، وأن يظهره الله على الدين كله. وهذا هو الظن السوء الذي ظنه المنافقون والمشركون في سورة الفتح، وإنما كان هذا ظن السوء؛ لأنه ظن غير ما يليق به سبحانه، وما يليق بحكمته وحمده ووعد الصادق، فمن ظن أنه يدلل الباطل على الحق إدالة مستقرة يضمحل معها الحق، أو أنكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدره أو أنكر أن يكون قدره بحكمة بالغة يستحق عليها الحمد، بل زعم أن ذلك لمشيئة مجردة، فذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار.

وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم وفيما يفعله بغيرهم، ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وأسماءه وصفاته وموجب حكمته وحمده. فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا، وليتب إلى الله ويستغفره من ظنه بربه ظن السوء، ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعتاً على القدر وملامة له، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا، فمستقل ومستكثر، وفتش نفسك: هل أنت سالم؟

فإن تنج منها تنج من ذي عظمة* وإلا فإني لا إخالك ناجياً**

الشـرح

هذا الباب عقده المؤلف لبيان حرمة سوء الظن بالله، فمن ظن بالله ظن السوء فهو يقدر في التوحيد، وقد يوصل إلى الشرك أو البدع أو الكبائر، فالواجب على المسلم أن يظن بالله ظناً حسناً.

ومن ظن بالله ظناً سيئاً في شرعه وحكمه فلسانه حاله نسبة الظلم إلى الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً بهذه الأمور فأما إن اعتقد ذلك فقد كفر، ثم ما عدا ذلك يكون على حسب ما وقع في القلب والظنون لا تنحصر في باب.

والظن السيئ من صفات المنافقين، ومن أقبح ظن السوء من ظن أن الله لا ينصر دينه وأن الكفار سيظهرون على المسلمين على الدوام، فهذا من أعظم ما يقدر في التوحيد.



باب: ما جاء في منكري القدر

وقال ابن عمر: والذي نفس ابن عمر بيده، لو كان لأحدهم مثل أحد ذهباً، ثم أنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر. ثم استدل بقول النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «الإيمان: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره». رواه مسلم.

وعن عبادة بن الصامت أنه قال لابنه: «يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، سمعت رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يقول: «إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، فقال: رب، وماذا أكتب؟ قال: أكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة» يا بني سمعت رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يقول: «من مات على غير هذا فليس مني».

وفي رواية لأحمد: «إن أول ما خلق الله تعالى القلم، فقال له: اكتب، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة».

وفي رواية لابن وهب: قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله بالنار».

وفي المسند والسنن عن ابن الديلمى قال: أتيت أبي بن كعب، فقلت: في نفسي شيء من القدر، فحدثني بشيء لعل الله يذهب به من قلبي، فقال: «لو أنفقت مثل أحد ذهباً ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير هذا لكنت من أهل النار». قال: فأتيت عبد الله بن مسعود، وحذيفة بن

الشرح

مراتب القدر:

والإرادة قسمان:

١- إرادة كونية: وهى التى لا بد أن تقع وقد يحبها الله وقد لا يحبها.

٢- إرادة شرعية: وهي التي قد تقع وقد لا تقع ولا تكون إلا فيما يحبه الله.

وقد ضل في باب القدر طائفتان من أهل البدع وأصل ضلالهم فيه عدم تفريقهم بين الإرادتين:

١- القدريّة «المعتزلة» أثبتوا الإرادة الشرعية فقط، فجعلوا أفعال العباد كلها اختيارية وأنها من خلق العبد لا من خلق الله.

٢- الجبرية «الأشاعرة» أثبتوا الإرادة الكونية فقط فجعلوا أفعال العباد كلها اضطرارية، فالعبد عندهم مجبور على عمله لا اختيار له ولا قدرة، وهذا ظاهر البطلان شرعا وعقلا. وقد جمع بعضهم مراتب القدر في هذا البيت:

علمُ كتابةً مولانا مشيئته *** وخلقُه وهو إيجادٌ وتكوينٌ

مسألة (١): ما هو المعتقد الصحيح في باب القدر؟

الجواب: المعتقد الصحيح هو معتقد السلف بأن تعتقد أن كل شيء بقدر وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأن الله خلقنا وخلق أعمالنا، وأنه سبحانه خلق الخير والشر، والشر الذي خلقه الله ليس في أفعاله، لكن في مفعولاته وليس شرّاً محضاً بل نسبياً، أي: «شر لبعض الناس وخير لآخرين»، وخلق الله الشر لحكم علمها من علمها وجهلها من جهلها.

فائدة (١): أفرد الله القدر في القرآن فقال: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [سورة

القمر: ٤٩].

وعطفه النبي ﷺ بقوله: «وتؤمن بالقدر خيره وشره» ولم يعطفه بالواو فحسب كما عطف بقية الأركان وذلك لأهميته.

فائدة (٢): إنكار مرتبة «العلم» كفر ومن أنكر مرتبة من مراتب القدر الأخرى فعلى تفصيل دائر بين الكفر والبدعة، ومن أنكرها جملة فقد كفر.

مسألة (٢): ما هو أول مخلوق؟

الجواب: قيل: أول مخلوق هو القلم، وقيل: العرش وعن ابن عمر مرفوعاً: «كان الله ولا شيء قبله، وكان عرشه على الماء» رواه مسلم.

والجمهور على أن أول مخلوق هو العرش.

وأما قوله: «أول ما خلق الله القلم» فالأولية هنا المراد بها: أول عمل أمر به القلم حين خلقه الله الكتابة، فالأولية في الحديث راجعة إلى الأمر بالكتابة لا إلى الخلق، والله أعلم.

تنبيه: لا يجوز للإنسان أن يتعمق في مسائل القدر لأنه القدر سر الله في خلقه من حاول كشفه هلك، وقد يوصل إلى الكفر، قال تعالى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [سورة الأنبياء: ٢٣]. وذلك لأن للعقل حدود لا يمكنه تجاوزها فإن أجهد عقله في كشف ما لا يقدر عليه هلك.

فائدة (٣): حديث «القدرية مجوس هذه الأمة» مختلف في صحته، وبعضهم يحسنه منهم الألباني رحمه الله، وقيل: لهم مجوس: لأن المجوس يثبتون خالقين: خالق النور وخالق الظلمة وهؤلاء يثبتون خالقين كثر مع الله؛ لأن كل مخلوق عندهم يخلق فعله بنفسه زعموا، وعلى كل فقد صح وصفهم بمجوس هذه الأمة عن جماعة من الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ**.



باب: ما جاء في المصورين

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قال الله تعالى: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا حبة، أو ليخلقوا شعيرة». أخرجاه.
ولهما عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله».

ولهما عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «كل مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها نفس يعذب بها في جهنم».

ولهما عنه مرفوعاً: «من صوّر صورة في الدنيا كلّف أن ينفخ فيها الروح، وليس بنافخ».
ولمسلم عن أبي الهياج قال: قال لي عليّ: «ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ ألا تدع صورة إلا طمستها، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته».

الشرح

عُقد هذا الباب لبيان حكم التصوير وأنه من كبائر الذنوب، وعلاقة التصوير بالتوحيد من حيث المضاهاة لخلق الله تعالى، وهذا متعلّق بالربوبية هذا من جهة ومن جهة أخرى أنه أول ما وقع الشرك في الأرض كان بسبب التصوير وهو من هذه الجهة متعلّق بالألوهية.

والأصل في الأدلة أن تحمل على العموم، فالتصوير محرم بأي طريقة كان، وإن اختلفت الوسائل، وبعض المتأخرين فصلوا تفصيلاً ليس عليه دليل، ففرقوا بين ما لها ظل وما ليس لها ظل ويقصدون بالظل المنحوت، ووجهوا الأحاديث عليه ولم يأت دليل على هذا التفصيل

بل الأحاديث كلها بألفاظ العموم، ثم بعد ذلك ظهرت الآلات الحديثة وما يسمى بالصور الشمسية ونحوها، فتجدد الخلاف مرة أخرى، والأصل أن التصوير محرم لذاته لعموم الأدلة، ولم يأت في حديث من أحاديث النهي عن التصوير والصور، مع كثرتها أي استثناء يمكن أن يخرج به بعض الأنواع من النهي، فالواجب على المؤمن أن يعظم كلام الله ورسوله في التحليل والتحريم بعيداً عن الحيل والهوى ومجارات المجتمع ومداهنتهم، وبعيداً عن صرف الأدلة عن ظاهرها دون حجة، والله المستعان

والحديث الأول فيه بيان علة التحريم وهي المضاهاة لخلق الله.

قوله: «أشد الناس» أي من أشد الناس؛ لأن الكفار أشد الناس عذاباً يوم القيامة، وقيل: أشد الناس في هذا الباب، أي في باب المضاهاة لخلق الله.

والحديث الثالث بلفظ: «صورة» وهي نكرة في سياق النفي تفيد العموم.

وسائر الأحاديث التي فيها تحريم التصوير وردت بلفظ العموم، فدل على تحريم جميع أنواع التصوير، وما وقع من بعض العلماء المعاصرين من أهل السنة من القول بجواز بعض الأنواع من التصوير فهو اجتهاؤٌ منهم، فيعتذر لهم، مع بيان هذا الخطأ، ولا يُتابعون على الخطأ؛ لأن قول رسول الله أحق أن يُتبع ويُعظم ويُقدم على قول كل أحد.



باب ما جاء في كثرة الحلف. وقول الله تعالى: ﴿واحفظوا أيمانكم﴾

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «الحلف منفقة للسلعة، محقة للكسب» أخرجه.

عن سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: أشيمط زان، وعائل مستكبر، ورجل جعل الله بضاعته، لا يشتري إلا بيمينه، ولا يبيع إلا بيمينه» رواه الطبراني بسند صحيح.

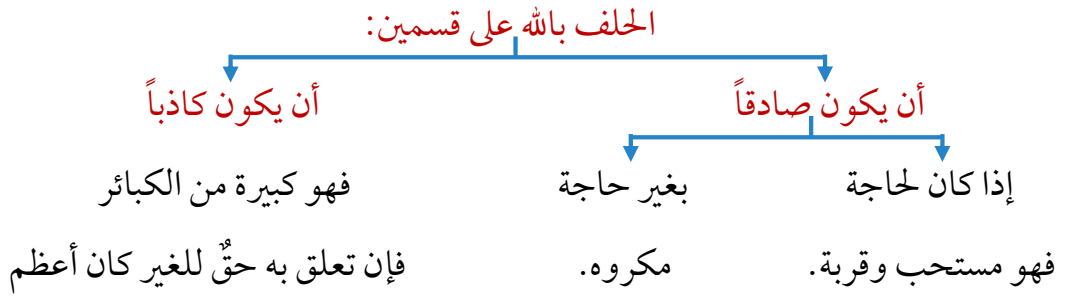
وفي الصحيح عن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثاً؟ ثم إن بعدكم قوماً يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن».

وفيه عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته».

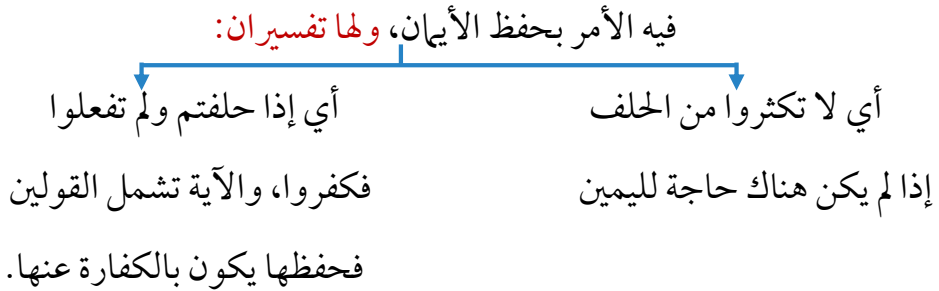
قال إبراهيم: كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار.

الشرح

أراد بالباب بيان حكم الحلف بالله، وعلاقته بالتوحيد أن الإكثار من الحلف لغير حاجة ولو كان بالله يحصل فيه نقص في تعظيم الله تعالى بحيث أن من يكثر من الأيمان لا تبقى ليمينه مهابة ولا تعظيم لا منه ولا من يسمعه.



قوله: وقول الله تعالى: ﴿وَأَحْفَظُوا أَيْمَنَكُمْ﴾.



قوله: وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله «الحلف منفقة للسلعة محقة للبركة» أخرجاه. الحلف عند البيع والشراء محرم عند كثير من أهل العلم؛ وإن كان صادقاً لأنه لغير حاجة، ويفضي إلى قلة التعظيم، ولما ورد فيه من الوعيد لمن جعل يمينه منفقة للسلعة فهذه كبيرة من الكبائر، لأن الحلف بالله تعظيم له، فلا ينبغي أن يستخدم لغرض دنيوي لا سيما إن كان فيه غش وخداع، وكلما استمر الإنسان على ذلك كان الإثم أكبر.

قوله: وعن سلمان أن رسول الله قال: «ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يذكرهم...» الحديث. «أشيمط» كبير في السن، وهذه اللفظة صفة كاشفة؛ لأن الشاب أيضاً لا يجوز له الزنا وإنما تشتد العقوبة لمن زنا عند كبر سنه؛ لأن الأولى له في هذا السن التوبة والرجوع إلى الله.

قوله: «وعائلٌ مستكبر» وهو الفقير المستكبر، وهذا يدل على مرض في قلبه؛ لأنه لا يوجد ما يجعله يتكبر من كثرة الأتباع أو المال والجاه مع أن الكبر محرمٌ مطلقاً للغني والفقير.

قوله: «ورجلٌ جعل الله بضاعته» هذا هو المقصود من الباب، وهذا دليل على أنه ليس مُعظماً لله؛ لأنه جعل الله أرخص الأشياء عنده أن يحلف بالله من أجل أن يصل إلى لذةٍ أو شهوةٍ أو إنفاقٍ سلعة.

قوله: وفي الصحيح عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله: «خيرُ أمتي "قرني" ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم...» الحديث.

دل على أن الناس بعد الثلاثة القرون يدب فيهم الفساد ومن ذلك أنهم يشهدون ولا يُستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون.

* من شهد بدون أن يطلب للشهادة مع وجود الشهود فهذا يدخل في الحديث ومن شهد مع عدم وجود الشهود وفي عدم شهادته ضياع للحقوق وجب عليه ذلك، ولما كانت الشهادة تكون غالباً مصحوبةً باليمين، قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** «تسبق يمينه شهادته».

باب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه. وقول الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ الآية

عن بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا أَمَرَ أميراً على جيش أو سرية أوصاه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً، فقال: «اغزوا بسم الله، في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال - أو خلال - فأيتهم ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام فإن هم أجابوك فاقبل منهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين، وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم الله تعالى، ولا يكون لهم في الغنيمة والفىء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فاسألهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم. وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل ذمة الله وذمة نبيه، فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك، فإنكم إن تخفروا ذمكم وذمة أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة نبيه. وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله، فلا تنزلهم على حكم الله، ولكن أنزلهم على حكمك. فإنك لا تدري، أتصيب حكم الله فيهم أم لا» رواه مسلم.

الشرح

الذمة بمعنى: العهد والميثاق، ويقال للعهد ذمة بمعنى: أن ما كان بالذمة فلا يسقط إلا بالوفاء به.

يقول الأصوليون في تعريف الواجب من العبادات هو ما برئت به الذمة وسقط به

الطلب، ولهذا قيل: للعهد ذمة فلا يسقط حتى تؤديه.

قوله: وقول الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ...﴾ الآية.

وأعظم العهود العهد بالله والآية فيها الأمر بالوفاء به.

قال تعالى: ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ أي شاهداً بما حلفتُم به.

قوله: وعن بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أمر أميراً على جيش أو سري... الحديث.

السرية هي: القطعة من الجيش لم يخرج فيه النبي بل يبعث غيره.

فإذا خرج فيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقال لها: غزوة، وقيل: غير ذلك.

قوله: «في سبيل الله» فيه الإشارة إلى الإخلاص.

«الغلول» أخذ شيئاً من الغنائم قبل قسمتها، و«الغدر» هو نقض العهد بدون إشعار لمن بينك وبينهم عهد.

قوله: «ثم ادعوه إلى التحول...» أي إن لم يؤمنوا كلهم فيجب على المؤمن أن يهاجر.

«تخفروا» تخونوا.

* معنى ذمة الله أن ينزل كافرٌ في حرب مثلاً على ذمة المسلمين فإن نزل على عهد الله وذمة الله ثم رأى الأمير ألا يوفيه ونحو ذلك كان ذلك ذنباً عظيماً، لكن إذا أنزله على ذمة فخفرتها، فإنه أخف من أن يخفر ذمة الله وذمة نبيه، وجعل ذلك بعضهم خشية ألا يصيب حكم الله. وحكم الله مقدّم على حكم غيره،

فإن قيل: كيف أمره أن يقدم حكم غير الله على حكم الله؟

قيل: ليس معناه أنه يحكم بغير ما أنزل الله بل يتحرى الصواب فإن أصاب فيها ونعمت، وإن أخطأ فيرجع ذلك إلى ذمته لا إلى ذمة الله، وقيل: كان هذا في بداية الإسلام ثم نسخ؛

لأن الأحكام كان ينسخ بعضها بعضاً، فإذا نزل شيء آخر ونسخ ما قبله.

وعلاقة هذا الباب بالتوحيد أن من أعطى الناس عهد الله وذمته فيجب عليه أن يوفي به، فإن أخفر ذلك دل على عدم تعظيم الله سبحانه وتعالى وذلك خلل في التوحيد.

مسألة: ما الفرق بين حكم الله وحكم غيره؟

الجواب: حكم الله لا يكون إلا حقاً صواباً، وأما حكم غيره فقد يصيب وقد يخطئ.

باب: ما جاء في الإقسام على الله بلا علم

عن جندب بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قال رجل: والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله عز وجل: من ذا الذي يتألى عليّ ألا أغفر لفلان؟ إني قد غفرت له وأحببت عملك» رواه مسلم.

وفي حديث أبي هريرة أن القائل رجل عابد، قال أبو هريرة: تكلم بكلمة أو بقت دنياه وآخرته.

الشرح

هذا الباب علاقته بالتوحيد أن بعض أنواع القسم على الله سببها خللٌ في توحيد صاحبها والقسم على الله في بعض أنواعه قد يُذهب بالتوحيد وقد يُذهب كمال التوحيد. وصورته: أن يقول: والله لتفعلن يا رب كذا وكذا، أو والله لا يفعل الله كذا.

أنواع الإقسام على الله:

١- أن يقسم على الله لثبت ما أثبتته الله ورسوله أو ينفي ما نفاه الله ورسوله لقوة إيمانية ويقينه بكلام الله ورسوله فهذا جائز بل قد يستحب عند الحاجة كقولك: والله لا ينقص من رزقي شيئاً، والله إن أبا بكر في الجنة، والله إن أبا جهل في النار.

٢- من أقسم على الله سوء ظن بالله وتحجير لرحمة الله فهذا محرم لا سيما إن كان عند صاحبه عجب بالنفس كما في حديث الباب.

٣- الإقسام على الله ثقته وحسن ظن بالله، وهذا لا ينتج إلا عن قوة إيمان وهذا جائز، قال رسول الله: «رب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره».

باب: لا يُستشفع بالله على أحد من خلقه

عن جبير بن مطعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاء أعرابي إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله: نهكت الأنفس، وجاع العيال، وهلكت الأموال، فاستسق لنا ربك، فإننا نستشفع بالله عليك وبك على الله، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سبحان الله! سبحان الله!» فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه؛ ثم قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ويحك، أتدري ما الله؟ إن شأن الله أعظم من ذلك، إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه» وذكر الحديث. رواه أبو داود.

الشرح

الأصل في الشفاعة أن تكون للمفضل عند الفاضل أما أن تطلب من الله أن يشفع لك عند فلان؛ فلا يجوز، لما فيه من عدم تعظيم لله.

والحديث المذكور في الباب لا يصح ففيه أكثر من علة، ومعناه صحيح والله أعلم.



باب: ما جاء في حمايته صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد، وسده طرق الشرك

عن عبد الله بن الشخير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: انطلقت في وفد بني عامر إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقلنا: أنت سيدنا، فقال: «السيد الله تبارك وتعالى». قلنا: وأفضلنا فضلاً، وأعظمنا طولاً؛ فقال: «قولوا بقولكم، أو بعض قولكم، ولا يستجirinكم الشيطان» رواه أبو داود بسند جيد.

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن ناساً قالوا: يا رسول الله: يا خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا، فقال: «يا أيها الناس، قولوا بقولكم، أو بعض قولكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد، عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل». رواه النسائي بسند جيد.

الشرح

في هذا الباب بيان عناية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عناية كبيرة بالتوحيد فقد سد كل طريق يوصل إلى الشرك، والإسلام جاء لسد الذرائع فكلما عظم الشيء كثر الحث عليه والنهي عنه ضده، وتقدم في الباب الحادي والعشرين نحو هذا الباب، وتقدم أن الشيء إذا نُهي عنه مُنعت الوسائل المقضية إليه فالله أعلم بما أراد به ذكر هذا التكرار، وقد يقال إنه كرره لأهميته فذكر هناك بصورة وهنا بصورة أخرى.

قوله: عن عبد الله بن الشخير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقلنا: أنت سيدنا... الحديث.

معناه أن المدح الزائد قد يتجارى ببعض الناس حتى يصلوا به إلى مرتبة الألوهية كما حصل من الصوفية في رسول الله، بل في كبارهم وقد يكون بعضهم ساحراً أو فاسقاً،

وكذلك الرافضة في أئمتهم الاثني عشر وقد ذكر أبو يزيد البسطامي أحد الصوفية أنه قال: خضنا بحراً وقف الأنبياء بساحله. وذكر الشعراني في طبقات الصوفية ذكر أن شخصاً قيل: له أين كنت قال في مدينة كذا، وقال أنا أرى الله قال له صاحبه لو رأيت أبا يزيد البسطامي خير من أن ترى الله سبعين مرة، وهذا من نتائج الغلو في الأشخاص.

فائدة: السيادة المطلقة لا تكون إلا لله والمقيدة يجوز إطلاقها لغير الله، وإنما زجرهم رسول الله ﷺ؛ لأنهم قالوا ذلك في وجهه، ولا ينبغي ذلك إلا لمصلحة شرعية، وليس هذا الباب الذي يحصل بسبب المجازاة فيه الغلو وربما أوصل إلى الشرك.



باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ الآية

عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «جاء خبر من الأخبار إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا محمد! إنا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء على إصبع، والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، فيقول: أنا الملك. فضحك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى بدت نواجذه، تصديقاً لقول الخبر، ثم قرأ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ الآية.

وفي رواية لمسلم: «والجبال والشجر على إصبع، ثم يهزمن فيقول: أنا الملك، أنا الله. وفي رواية للبخاري: يجعل السماوات على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع» أخرجاه.

ولمسلم عن ابن عمر مرفوعاً: «يطوي الله السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين السبع ثم يأخذهن بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون. وروي عن ابن عباس، قال: «ما السماوات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم».

وقال ابن جرير: حدثني يونس، أنبأنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: حدثني أبي، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما السماوات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس» قال: وقال أبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض».

وعن ابن مسعود قال: «بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام، وبين كل سماء خمسمائة

ولهذا كان شبرٌ في الجنة خير من الدنيا وما فيها، والجنة مع عظمتها وسعتها إنما هي شيءٌ من ملك الله وليست هي كُلُّ ملك الله.

فائدة (١): الصحيح «الماء والثرى على أصبع».

قوله: وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاء حبرٌ من الأحبار إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا محمد... الحديث.

السموات والأرض تكون في يمين الله وهذا فيه إثبات صفة اليد لله، وكذلك الأصابع بدون كيف.

وأما المعتزلة فقالوا إنما ضحك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تكذيباً لليهودي وليس إقراراً، وهذا من غرائب الهوى بل قل من الفضائح، فقبح الله الهوى وأهله كيف يتلاعبون بالنصوص والعقول؟؟!! ولا يحتاج مثل هذا العبث إلى جواب، فكيف يستسيغ من له أدنى مسكة من عقل أن يظن بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه يسكت على مثل هذا إن كان منكرًا وباطلاً، ويكتفى بمجرد الضحك، ومتى كان الضحك من طرق الإنكار؟؟؟.

فائدة (٢): لفظة «شماله» ذكرها مسلم في الشواهد وهي شاذة من طريق عمر بن حمزة وهو ضعيف وقد شذ بها وجاءت من طرق خارج الصحيحين ولم تثبت الروايات بذلك، والمعتمد من الروايات أن كلتا يدي ربي يمين. وكل ما ورد بذكر الشمال، فلا يثبت.

فائدة (٣): أثر ابن عباس صالح للتحسين.

* حديث ابن مسعود موقوفٌ عليه، وله حكم الرفع، وفيه بيان عظمة الله؛ فإنه لا يخفى عليه شيءٌ بل يعلم السر وأخفى والسر هو ما تحدثت به نفسك، وأخفى وهو ما لم تحدث به نفسك وستحدث به بعد ذلك.

فائدة (٤): من أعظم طرق تعظيم الله: معرفة الأسماء الحسنى والصفات العلى ومعرفة معانيها والعمل بها، والله تعالى أعلى وأعلم.

والحمد لله رب العالمين الذي تتم بنعمته الصالحات.

تمت مراجعته وترتيبه ضحى يوم الأربعاء لخمس بقين من جمادى الأولى لعام ١٤٤٣ هـ

وكتبه الفقير إلى عفو ربه:

أبو حذيفة زكريا بن حميد بن فهاد الصلاحي الحبيشي

الفهرس

الفهرس

٣	المقدمة
٦	كتاب التوحيد
١٥	باب: فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب
١٩	باب: من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب
٢٢	باب: الخوف من الشرك
٢٣	أقسام الشرك
٢٧	باب: الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله
٣٠	باب: تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله
٣٣	باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه
٣٦	باب ما جاء في الرقى والتائم
٤٠	باب من تبرك بشجر أو حجر أو نحوهما
٤٣	باب ما جاء في الذبح لغير الله
٤٧	باب: لا ذبح في مكان يذبح فيه لغير الله
٥٠	باب: من الشرك النذر لغير الله
٥٣	باب: من الشرك الاستعاذة بغير الله

- من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره..... ٥٦
- باب قول الله تعالى: {أشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون ولا يستطيون لهم نصراً ولا أنفسهم ينصرون} وقوله: {والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير} الآية... ٦٠
- باب قول الله تعالى: {حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير}..... ٦٣
- باب: الشفاعة..... ٦٥
- باب: قول الله: {إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء}..... ٦٨
- باب: ما جاء في كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين. ٧٠
- باب: ما جاء في التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده..... ٧٣
- باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثاناً تعبد من دون الله..... ٧٦
- باب: ما جاء في حماية المصطفى جناب التوحيد، وسده كل طريق يوصل إلى الشرك... ٧٨
- باب: ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان..... ٨٠
- باب: ما جاء في السحر..... ٨٤
- باب: بيان شيء من أنواع السحر..... ٨٧
- باب: ما جاء في الكهان ونحوهم..... ٩٠
- باب: ما جاء في النُصرة..... ٩٤
- باب: ما جاء في التطير..... ٩٦
- باب: ما جاء في التنجيم..... ٩٩
- باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء..... ١٠٠

- باب: قول الله تعالى: {ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا} الآية ١٠٢
- باب قول الله تعالى: {إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين} ١٠٥
- باب: ما جاء في قول الله تعالى: {وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين} ١٠٨
- باب: ما جاء في قول الله تعالى: {أفأمنوا مكر الله} الآية ١١٠
- باب: من الإيمان الصبر على أقدار الله ١١٢
- باب: ما جاء في الرياء ١١٦
- باب: من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا ١١٨
- باب: من أطاع العلماء والأمرأ في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله فقد اتخذهم أرباباً من دون الله ١٢١
- باب قول الله تعالى: {ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً} ١٢٣
- باب: من جحد شيئاً من الأسماء والصفات ١٢٧
- باب: قول الله تعالى: {يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون} ١٣٠
- باب: ما جاء في قول: ما شاء الله وشئت ١٣٥
- باب ما جاء في سب الدهر ١٣٧
- باب: التسمي بقاضي القضاة ونحوه ١٣٩
- باب: احترام أسماء الله تعالى وتغيير الاسم لذلك ١٤١

- باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول ١٤٢
- باب ما جاء في قوله تعالى: {ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي} الآية. ١٤٥
- باب قول الله تعالى: {فلما آتاها صالحا جعلنا له شركاء فيما آتاها فتعالى عما يشركون} الآية. ١٤٧
- باب قول الله تعالى: {ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه} الآية. ١٤٩
- باب لا يقال: السلام على الله. ١٥١
- باب: قول: اللهم اغفر لي إن شئت. ١٥٣
- باب لا يقال عبدي وأمتي. ١٥٥
- باب: لا يرد من سأل بالله. ١٥٧
- باب: لا يُسأل بوجه الله إلا الجنة. ١٥٩
- باب: ما جاء في «لو» ١٦٠
- باب: النهي عن سب الرياح. ١٦٢
- باب: قول الله تعالى: {يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء قل إن الأمر كله لله} الآية. وقوله: {الظانين بالله ظن السوء} الآية ١٦٣
- باب: ما جاء في منكري القدر. ١٦٥
- باب: ما جاء في المصورين. ١٦٩
- باب ما جاء في كثرة الحلف. وقول الله تعالى: {واحفظوا أيمانكم} ١٧١

باب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه. وقول الله تعالى: {وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا	
تنقضوا الأيمان بعد توكيدها} الآية	١٧٤
باب: ما جاء في الإقسام على الله بلا علم	١٧٧
باب: لا يُستشفع بالله على أحد من خلقه	١٧٨
باب: ما جاء في حمايته صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد، وسده طرق الشرك	١٧٩
باب ما جاء في قول الله تعالى: {وما قدرُوا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم	
القيامة} الآية	١٨١
الفهرس	١٨٥

صدر للمؤلف

